سبیتی

اخلاق آل محمد

170:Su94aA:c.1
سبيتى ،موسى جواد
(اخلاق آل محمد ص)
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002192

170:Su94aA

سبيتي، موسى جواد.

(أخلاق آل محمد (ص)

MAR 25
APR 26 G122
10 OCT '69 "
8616213

170
Su94aA

APR 25 63

JAFET LIBI
25 OCT 19

170
Su94aA
C.1

(اخلاق آل محمد ص)

بقلم
موسى جواد سبيتي

دار الفكر – بيروت – ١٣٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

احمده واستعين به

هذا مجهود ضئيل، أقدمه على استيحاء، متناولا ناحية من نواحي الحياة الاسلامية .

والذي اطمع به ان أكون جنديا في سبيل نشر الفكرة الأسلامية، والوحدة الأسلامية، محاربا الطائفية، والعصبية المذهبية التي اوهت قوانا، وفرقت جمعنا وفتحت للعدو ثغرات . تسلل منها الى افكارنا، واخلاقنا وأوطاننا . وأسميته (اخلاق آل محمد ص) فان وفقت فالحمد لله . وان فشلت فلكل امرىء مانوى .

١٩ ايلول ١٩٥٥ كفرا موسى جواد سبيتي

«تلامذة واتباع»

فريق من الناس لا يستهان به،عددا ومقدرة، احب اهل البيت حباً جما ، تمكن الحب من هذا الفريق وصبغ نفسيته بألوانه فأصبح عقيدة متمكنة راسخة لا تزول . وكلنا يعلم ان السلوك العملي في الحياة يقوم على دعامة واحدة فقط ، وتلك الدعامة هي العقيدة، والسلوك اذا لم يكن منبعثاً عن عقيدة يداخله الرياء والكذب والتصنع ، وفي ذلك ضرر لا يستساغ .

تمكن الحب من نفسية ذلك الفريق حتى اصبح موجهاً مرشداً. له تأثيره البليغ في تقرير المصير في الحياة الآتية ، وتعيين الاتجاه في الحياة الدنيا .

في الوقت الذي انهارت فيه صروح الوثنيـة في جزيرة العرب بفضل الدعوة الأسلامية ، ومحيت عن صحيفة النفس العربية الاسطورة والخرافة والتقليد،ويئس الشيطان ان يعبد في بلاد العرب ، اعلن الرسول (ص) في خطبته الاخيرة :

« الاواني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي اهل بيتي » وكانت وصية عامة ، وصرخة

مدوية في الارجاء والاجيال .

تلقى المسلمون هذه الوصية بشغف وظمأ ، يروون بها ظمأهم ، ويزيلون باشعتها ظلامهم ، ويهذبون بها طباعهم ،ويروضون بها جامحهم سواء منهم من قصد بالافهام ام من لم يقصد؟بل الذي سيوجد ولو بعد حين .

احتشد حول هذه الوصية فريق كبير من الناس ، لم يكن الباعث له على هذا الاحتشاد اطماع دينوية ، ولا مآرب دنيئة،ولا اغراض سياسية ، هكذا طلب الرسول وطلبه ينفذ ، وهكذا امر وأمره يطاع ، وهكذا أوصى ووصيته حياة، ونجاح وسعادة فان الرسول عودنا ان لا يدعو الا لما يحيينا ويصلحنا .

بالاستقراء والتتبع ، وبالتجرد عما ورثنا من عواطف ونزعات وجدنا هذا الفريق من الناس ، كثيرا ما يضحي في مصالحه ورغباته بل بكيانه وحياته في سبيل عقيدته ومبادئه ، طمعا في تزكية روحه ، ورغبة في رضا خالقه ، والثبات على معتقده الذي غرسه رسول الله صلى الله عليه في نفسه ، يدلنا على ذلك تاريخ جماعة : منهم عمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي الكندي، وسليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجبه ، واشباههم ونظرائهم كثيرون في التاريخ . هذا هو الباعث الاول الذي حث هذا الفريق على موالاة اهل البيت وحبهم .

الباعث الثاني : هو انه لما حدثت مشكلة الخلافة ، كان الخلفاء الراشدون ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمل مظهر

واكمل مصداق للخلافة الاسلامية في العدل والايثار والسهر على مصالح المسلمين . ولكن بعد ذلك اصبحت الخلافة محاطة بالدماء المراقة، والفتن المثارة حولها في سائر جهاتها، هذه الفتن، وهذه الدماء ايقظت الجماعات في البلاد الاسلامية. ليبحثوا في العدل المقصود من اقامة الخليفة . ونصبه للناس علما وإماما ، وفي الصفات التي ينبغي ان تجتمع في شخص الخليفة . لينهض بالمهمة الملقاة على عاتقه، فيفوز بثنائها او يتحمل تبعاتها، ذلك حسب ما يختار من سلوك، ويرتضي من عمل، وينشيء من مشاريع، ويسن من انظمة .

في اثناء هذا المعترك الدامي، والصخب الثائر، والالم المضنى، كانت تضطرب الافكار، وتتصادم الاراء، وتتنازع الفئات ، شغف اهل البيت جماعة من الناس حباً ، لانهم وجدوا عندهم من المزايا والمؤهلات، والمقدرة والكفاآت لهذا المركز المهيب ما لم يجدوه عند غيرهم ، ممن يتوسل الى السلطان بالمال والسيف والقوة المادية ،

ويجعل الهدف من السلطان المنفعة وحدها، تلك المنفعة التي تبرر غايتها الواسطة مهما كانت الواسطة ممعنة في ايذائها ومخالفتها للدين الاسلامي .

طبعاً اصبحت العلاقة في غاية الوثاقة والمتانة بين اهل البيت وبين هذا الفريق من الناس ، وكان اهل البيت بمنزلة المعلم المفيد، والشيعة بمنزلة المتعلم المستفيد ، وكان اهل البيت منبعاً فياضا بالعلوم ، وكان الشيعة يعولون على اهل البيت في الفقه، والاخلاق، وكل اساليب الحياة الصالحة ، وكانت دعوة اهل البيت خيرة نقية نزيهة ، لم تمازجها

مظامع ، ولم تدنسها اهواء ، ولم تخالطها كدورة تذهب بصفائها ، ولا ظلمات يشحب بها شعاعها ويبهت ،بل نور وصفاء وطهارة ونقاء .

وسنورد في هذه الرسالة الصغيرة الحجم طائفة من كلامهم العبق ،ونصائحهم الغالية والتعاليم الخيرة التي كانوا يبثونها بين شيعتهم ومحبيهم بحراره وشوق ، وسوف يرى الناظران اهل البيت في اقوالهم واعمالهم لم يكونوا الا رواة عن جدهم الرسول الاكرم ، ومبلغين رسالته،ومنفذين وصيته،ومقتفين اثره،وسائرين على منهاجه. وما اجدرهم بذلك! فالاسلام نزل في بيتهم والرسول جدهم،وروحانية الرسول سرت في نفوسهم .فحملوا اريجها العطر، ونسيمها الندي ونشروا ذلك بكل مااستطاعوا، وتلقوا التضحيات بنفوس مطمئنه ، وتحملوا العناء بقلوب راضية وطباع هادئة،لا تعرف القلق ولا يخالطها ريب،ولا يثنيها خوف ولاترهب ما يأتي به الحدثان. بل كانوا يحرصون الحرص كله ان تصوغ الشيعة نفوسهم على قوالب تلك الحكم ، وتتمشى على تلك الاساليب العملية التي يرون انها اعون على الحياة ،واصلح للبقاء ، واضمن للفوز ، وامس رحماً بالحرية ، والانسانية ، والعدل .

ولا يذهبن وهم عجول الى ان الشيعة تنظر الى صحابة الرسول نظرة فيها شيء من التهاون ، فان هذا الوهم خاطيء من جهات عديدة :

اولا ان رسول الله ارتضاهم له اصحابا ولحق بالرفيق الاعلى

وهو عنهم راض .

ثانياً إن الله رضي عنهم بنص القرآن الكريم حيث يقول : لقد رضي الله عن المهاجرين .

ثالثاً إنهم أسرة واحدة فعمر بن الخطاب صهر علي على ابنته ام كلثوم. والباقر زوجته ام فروة ابنة القاسم بن محمد بن ابى بكر .

رابعا قوله تعالى : وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها . وبالجملة فالمطلع تاريخا، والناظر في كتب التراجم، لايسعه الا الثناء على الصحابة وتقديسهم ، فانهم نصروا الاسلام وجاهدوا بأموالهم وانفسهم .

الطائفة الجعفرية

إن الناظر في تاريخ الفرق الاسلامية يأخذه العجب ،من مذاهب مختلفة ، فيها كثير من الشذوذ فتملكه الحيرة فيما يأخذوفيما يدع ، ويستبد به الريب ، هل المؤلف نسب اقوالا الى اناس لم يقولوها أو أن عقول القائلين كانت في غاية الانحطـــاط تؤمن بالاسطورة والمستحيل ؟

اذا قرأت الشهر ستاني وابن حزم ونظرائهم تجد اقوالا واراء في غـــاية البعد عن الفكرة الاسلاميـــة ، منسوبـــة لبعض فرق الشيعة .

فمن الاقوال من يجعل علياً إلهاً ، ومن الاقوال من يتحلل من الشريعة باطناً ، ومن الاقوال من يجعل الله جســـما . وعلى هذه الويترة وتحتوي على تفاصيل غريبة المادة والصوره .

ان الذي نعرفه من عقائد الشيعة بعيد غاية البعد عن الغلو،وعن الاعوجاج ،وعن منافيات العقل ، لهذا اعتقد ـ ويعضدني البرهان ان الجعفريين ظلموا والصقت بهم اقوال لم يعرفوها ، ونسبت اليهم خرافات ومستحيلات هي لقوم آخرين،انتحلوا الانفسهم اسم الشيعة

وفي ارائهم ما ينأى بهم عن الفكرة الاسلامية .

لذلك على الباحثين ان يتثبتوا في الامر ، فقد ينسبون الغلط والسوء لقوم بعيدين عن السوء والغلط ،ويهاجمون اناساً لا يعرفون اسباب تلك المهاجمة ، ولا يعرفون انهم اساؤا أو اذنبوا .

ان الامانة العلمية مقدسة غاية التقديس بمقتضى سمو مكانها وعلو منزلتها، وبما تهذب من نفسية حاملها ، تقضي على البـاحث ان يتحرى الحق والصدق . ولاينسب الا ما اقتنع به ، بعد ان يكون واجداً لاسباب الاقتناع .

واذا نظرنا الى واقعنا الحالي نجد اننا في غنى عن سوق التهم . تمشيا مع عواطف واهواء غرستها في نفوسنا عصور الانحطاط التي كان يعتمد فيها الملوك على اثارة الشحناء والبغضـاء ، ليصلوا الى الملك والسلطة ، يستغلون جهل الناس ، ويثيرون حفائظهم بدعايات خاطئة ،ليحاربوا اخوانهم في العقيدة والفكرة والدين .

تداعت على المجتمع العربي فتن وارزاء : منها منافسات داخلية بين اقاليم ، وبين اسر وعائلات ، تطمع في الغلبة والاستيلاء ،ومنها اطماع غربية تزدحم وتصطدم على ثرواتنا، وعلى مواقعنا الجغرافية وهي التي فرقت جمعنا ، ومزقت وحدتنا الطبيعية التي كنا ننعم بها ، فأصبحنا دولا ، واقطاراً ، واننا نحاول استرجاع تلك الوحدة فلا نستطيع ، لما وضعوا بيننا من حواجز ومعوقات ، «ودع عنك نهباً صيح في حجراته» وهات حديث فلسطين،فانه يزيل القلب عن مستقره ، ويترك الجرح دامياً ينزف .

العقيدة بين الدين والفلسفة

النفس الأنسانية في تجوالها التفكيري عرفت لونين من الهداية :

ولو حاول الباحثون ان يفتشوا عن لون ثالث لما عرفوا لهما ثالثاً ، ولااهتدوا الى طريق يوصلهم الى شيء جديد:

حدثنا تاريخ المعتقدات والأديان بصراحة سافرة ، لا تعرف اللبس ؛ولا تصطنع الابهام : ان المذاهب والأديان تعتمد في ايصال مقرارتها وأصولها الى النفس البشرية على نوع من الاقناع التعجيزي فالوثنيه التي من طبعها وحياتها البساطة والسطحية تتسرب الى النفس من منافذ دقيقة ،فالنفس الساذجه لا تجعل الشك بابا تدخل منه الى رحاب اليقين ، ذلك ان النفس البشرية يتوارد ،عليها احوال : من الضعف والقوة ، والفتور والنشاط ؛والخمود والثورة والوثنية. تحيا وتنمو وتتكاثر ،حيث الضعف ؛والفتور ؛والخمود ؛والجهل غذائها الوحيد،الذي يزودها بالاسطورة والخرافة والتقليد ، وفي هذه الأشياء : الخوف والأمن ؛ واليأس والرجاء؛والقناعه والطموح.

تصوغ الوثنية تعاليمها ، وتقدم ذخائرها ، وتزود الأنسانية باغذيتها ، وما اكثر ما تكون تلك الاغذية فيها الضرر والاذى

وفيها التهافت والانحلال ؛ ولكنها تستعذبها النفس وتستطيبها ، حيث ان النفس في تلك الازمنة قانعة مستعبدة للاوهام والاساطير والكهنة ، الذين يغتنمون فرصة غباوة الانسانية وسذاجتها .

هكذا الحال سائدة في بعض بقاع الأرض الآهلة بالسكان ، حيث ان الدين هو ملاك امر حياة الامة ، وهو الذي ينظم الحياة الروحية ؛ تنظيما فيه الفوضى والاختلال ، ولكن قادة الرأي ورجال النفوذ ، يغذون هذه الفوضى . ويناصرون تلك الاحوال المرهقة كاهل الانسانية ، للمحافظة على نفوذهم ، وانقيادا الجماهير لهم .

وحينما كان الدين يقدم الطمانينة : ويبعث الرضا ويوحي بالقناعة لذلك تقبله كل العقول ، وتأنس اليه كل الشعوب ؛ فتجد الانسان بالوانه المختلفة : بين اسود ، واصفر ، وابيض ، يعتنق الدين ، ويجد عنده شفاء لدائه ، ورياً لظمائه . والفلسفة – حيث انها ثورة – لا تقبلها كل العقول ، ولا تهضمها كل النفوس ، فالزنجي بطبعه بعيد عن الفلسفة وما تثير من عواطف ، وما تحدث من انتفاضات ، وتسبب من هدم . الفلسفة يألفها الابيض الذي لا يسكن افريقيا والهند ، ويجد في الفلسفة غذاء لروحه وتنمية لمواهبه ، وانفساحاً في نظره . وكلما زادت معرفة الانسان بالكون والطبيعة والحياة واسرارها ، زاد انتفاعه بها واستطاع ان يتقي فتكاتها .

الانسان المكتمل المواهب ، الذي نضج عقله ، وانفسح خياله ، وانبسط امله ، وقويت ارادته ، وتوفرت شجاعته ،

وكان له من البيئة الاجتماعية مسعف ورافد. لابد ان يواجه الحياة، ويواجه مشاكلها: منها مشاكل نفسية: كالالحاد واليقين، والقلق والرضا، ومنها مشاكل أقتصادية: ولقد اصحبت المشكلة الاقتصادية الانسان في سائر ادوار حياته، ولا يمكن ان تتخلى عنه، مادام الانسان ذا غرائز؛ وشهوات؛ واطماع. ومنها المشاكل السياسية: وهذه المشكلة التي تعث الثورات، وتثير الانتفاضات وتريق الدماء؛ وتهدم من الحضارة ما تهدم، وترمم ما يستحق الترميم، وتجدد ما يستحق التجديد، تلبية لرغائب شعب طامح، او طاعة لارادة أمة تملى.

اذا واجه الانسان اي مشكلة ؟ لا بد ان يصطنع الشك، ويتخذه طريقا الى اليقين، لا مفر له عن معالجة الشك ولو صورة وشكلا، وهيهات ان يبرأ منه ويتخلى عنه.

الفلسفة ثورة، واكتمال المواهب في مواجهة مشاكل الحياة ثورة. الدين يبعث الطمانينة، ويغرس القناعة، ويقدم للنفس الانسانية موائده السخية الحافلة بصنوف من الرضا والقناعة والاطمئنان والوثوق.

هذه الظاهرة رأيناها في جميع الاديان والمعتقدات المعاصرة، ما خلا الدين الاسلامي، ونستطيع ان نوازن بين غاية الفلسة في انظار الفلاسفة وبين غاية الدين الاسلامي فنقول:

ان غاية الفلسفه مؤلفة من اربعة اشياء: اولها معرفة حقائق الموجودات، ثانيها اعتقاد الاراء الصحيحية، ثالثها التحلي بالاخلاق

الجميلة الفاضلة ، رابعها الافعال الزكية . والاسلام يعتمد هذه الامرر من مقاصده الاولية : سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك إنه على كل شيء شهيد لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ،قال الرسول ص: حف الأسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات ، ان الذين آمنوا وعملو الصالحات أولئك هم خير البرية . هذه نماذج نقدمها للقارىء، ان ينظر في القرآن الكريم الايات الحاثة على النظر في الكون والطبيعة والروح والايات الحاثة على الخلق الفاضل والعمل الصالح والاعتقاد الصحيح . فالاسلام قدم الطمانينه، وعلم الناس على الثورة والارتياب ، فكان في عمله سالكا كلا الطريقين، داعيا الى المنهجين ، لانه تناول شرح المعضلات الفكرية التي يعني بايضاحها الدين وتعالجها الفلسفة : شرح صدور الكون عن الله ، وربط الحادث بالقديم ، اوضح الأنسان وحريته ، بحث في علاقة الانسان باخيه الانسان ، بحث في مصير الانسان ونهايته

لتحقيق هذه الامور وقف اهل البيت حياتهم ، وانشر هذه الامور اعملوا بيانهم والسنتهم ، وللتحلي بهذه الامور بذلوا جهودهم وصرفوا اقناعهم . فتلقى شيعة اهل البيت هذه التعاليم بشغف وشوق يتسابقون الى حملها ورعايتها ويتنافسون في التكيف بها ، والانطباع على غرارها ، وان لقوا في ذلك العناء المرهق والتعب المضني ، وطفقوا يتوارثونها الابناء عن الاباء والخلف عن السلف ، ويتناقلونها هدايا ثمينة وتحفا قيمة ،واعلاقا نفيسة ،يتخذونها مصابيح

هداية وتوجيهات حكيمة ، يستلهمونها في حل المغلق ، ويسيرون بها في حلك الظلام .

لقد كان تأثير هذه التعاليم بعيد المدى ، منقطع النظير في نفسية الشيمة : فمن اثر هذه التعاليم رحب الشيعة بالفلسفة من اي وعاء خرجت ، ومن اي ارض نبتت ، وعن اي شخص رويت ومن اي امة نقلت ، فالحكمة ضالة المؤمن ، فلا يضير سامعها من قالها وانما يشينه انه استهان بها واعرض عنها ، وتصامم عن اقتباسها والاصغاء ، الى هتافها ، فالحكمة ضالته التي ينشدها ، ورغتيه التي يفتش عنها ، وفاتنته التي يشبب بها .

من أثر هذه التعاليم اعتنق الشيعة حب التضحية في سبيل حقوق الانسان المشروعة : من حق وحرية ومساواة ، وجرى الشيعة عمليا على حب التضحيـــة . فكان لهم شهداء خالدون في هذه السبيل .

من اثر هذه التعاليم ، تهافت رجال الشيعة على المعرفة بانواعها المختلفة : فكان منهم الفلاسفة العباقرة نظير الفارابى ، واخوان الصفاء والرئيس ابن سينا ، ونصير الدين الطوسى وملاصدرا ونضرائهم وهكذا كان في الشيعة رجال الشعر : كالفرزدق والكميت ، ودعبل ، وابو تمـــام ، والمتنـــبي والبحتري وابو الحسن محمد بن الحسين الرضى وابن هـــاني الاندلسي وهكذا في ســـائر انواع المعرفة نجد الشيعه سباقين . جريا وراء ائمتهم ، وعملاً بتعاليم اهـل البيت .

سائر الاديان أعتمدت في نشرها على الطمانينة التي تودعها النفوس بطريق العقائد الى النفوس ، والعقيدة قد تستقر في النفس البشرية ، وتاخذ طريقها بواسطة التكرار اللفظي ، وقد تكون بواسطة اعمال بدنية ، فمن تلزمه بصلوات حينا من الدهر ، او بتلاوة ادعية وأوراد ، او بتلاوة شيء من الكتب المقدسة تستقر في نفسه المعاني التي استوحاها من العمل والتلاوة ، وسلك المتصوفة هذا السبيل. فالمثابرة على حلقات الذكر ، والتواجد ينحدر بالمريد الى الوجد ، فيكون الكشف ألذي تحدث به الغزالي وأكده ابن عربي وتحمس له ابو الحسن الشاذلي.

الاسلام اعتمد على النظر العقلي ومرن العقلية العربية على الاعتبار والتفكر الفلسفي ،فهو لم يحتط من ثورة الفلسفة ،بل رحب بها ، وفسح لها صدره ، واحلها منه محلا رفيعا فلقد ذم الذي يعتمد على التقليدووبخ الذين يجادلون بغير علم ؛ولا هدى ؛ولا كتاب منير ،ولقد حدثنا القرآن الكريم : ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم آذان لا يسمعون بها ولهم اعين لايبصرون ولهم قلوب لا يعقلون بها ان هم كالانعام بل هم اضل»

إن الاسلام آخر الاديان . ومحمد ص خاتم الرسل ، حيث ان الاسلام تولى بيان نواحي الحياة ، وفسر الكون تفسيرا يلتئم مع العقلية البشرية. على اختلاف البيئات ،اختلاف الازمنة ،ولقد اظهر قيما روحية : كالعبادة في الصلوة ، والعبادة التهذيبية في الصيام ، والعبادة الايثارية في الزكوة ، الزم الاسلام بانظمة تشريعية مدينة :

كالبيع والشراء ، والاجارة ، والكفالة ، والرهن ، تولى اصلاح الاسرة : بالزواج ، والطلاق ، والميراث ، والوصية وابان انظمة السياسية : فسن الشوري ، واعلن المساواة ، واعطى حرية الرأي والانتقاد والتوجيه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر

شرع ادابا : علاقة العبدمع ربه، مع مجتمعه ، معاسرته ،

الدين والحياة

ان أهل البيت رجال دين ، وجميع مبادئهم وتعاليمهم ومثلهم هي مبادىء دين ، ومستمدة من الاسلام ، لا من شيء سواه.

ان للدين في نفوس الناشئة صورة ممقوتة ، ومنظراً مخيفاً، يسمعون بالدين فينفرون منه ،ويتبرمون بوصاياه،ويصرفون اسماعهم وابصارهم عن الاصغاء اليه، والنظر فيه ، ويحسبون ان الاديان تسير في طريق معاكس لطريق الحياة

ان المجتمع الحاضر تتصادم فيه تيارات مختلفة : من ماركسية تحارب تعاليم الاديان ، وتنشر بين الناس ان تعاليم الاديان هي اسباب انحطاط البشر ، ومن وجودية تعلن ان الانسان يخلق ماهيته وان الحرية -وحدها- هي المعول عليه في تقدم الانسان . ومن نزعة تحاول فصل الدين عن الدولة ، الى كثير من امثال هذه الاراء والنزعات التي تقضي على المثل العليا الانسانية ، وتخمد الجزء الوضاء من الانسان ، وتبقى على الجانب المظلم .

مهما سيطرت نزوات الانسان ونزعاته ، فانه لن يتخلى عن الفضائل والقيم التي تنسجم مع الانسان بما أنه انسان في اي بقعة

غـــا وتكون واي دين اعتنق ، ولاي عرق انتسب

انا لا انكر ان هناك قيما لاتلتئم مع الحياة ، كالاخلاق السلبية نظير القناعة ، والزهد والتسليم ، والتوكل والعزلة ، ونظائرها . والتسامح والصبر على الظلم . وهب ان بعض الاديان تذيع هذه القيم وتأمر بها . ولكن الاسلام ، لايأمر بها بصورة عامة بل يدعو الى نقائضها فهو احياناً يأمر بالعدل ، ويأمر بالقوة ويأمر بالتسامح في معاملة الافراد ، ولا يرضى بالتسامح في حقوق الجماعة والشعب . «وجزاء الذين يسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبو او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف»

لا يمكن ان يكون فيه شيء من الصواب ، قول القائلين ان الاديان تسير في خط معاكس لخطوط الحياة . فان الاديان صحبت الانسانية منذ نشأتها الاولى ، وفي الادوار التي مرت بها الانسانية وفي الاحوال التي تختلف عليها : بين ارتفاع وهبوط ، بين قـــوة وضعف بين تماسك وانحلال بين هدوء ، واضطراب ، بين امن وخوف ، ،بين سلم وحرب بين رضا وثورة ، فكانت الآديان في هذه الاحوال تتولى التوجيه ، والارشاد والتقويم والتهذيب ، وترشد في معاملة الانسان الى اوضح المناهج ، وتضع حلولا للمشاكل التي يتعرض لها المجتمع ، وكانت خير معوان على تقدم الشعوب وازدهارها ، وكانت خير منبع زاخر يستمد منه القادة والعلماء انظمة عادلة يسوسون بها شعوبهم ، ويحكمون بها اممهم ، ويهيأون لهم وسائل السعادة واسباب الاستقرار .

الاديان جميعها هي التحفة السماوية لاهل الارض، الذين يحيون على الارض ، ويريدون ان يعيشوا عيشة فيها العزة والكرامة ، عيشة فيها ألرضا والسعادة ، عيشة لم يساورها قلق ، ولم يطف بها طائف من البؤس والشقاء . فالامة التي تفقد الكرامة لا يكون لها وجود محترم ، ولا كيان مرموق ، ولا صولة ترهب ، والامة التي يدب فيها القلق والريب تكثر فيها الانقلابات ، تندلع فيها الثورات ، وتنفجر فيها البراكين ، والامة التي تعاني البؤس والشقاء وتتغذى بالجوع والفقر ، فهي للموت اقرب منها للحياة وللعدم اقرب من الوجود ، ولا تعطى من الخصائص الا ما يعطاه المريض في دور النزع والاحتضار ، والاديان جاءت لتنقذ الانسان الذي يريد ان يحيا حياة فيها خصائص الحياة . ويريد ان يخلد بكل ما للخلود من معنى رفيع ، فمن الغريب ان يقال إن الآديان تسير معاكسة للحياة ، بل تسير وتأخذ بيد الانسان في مجاهل الحياة ومتاهاتها ، لتبلغه السعادة التي يظمأ الى ريها ، والامن الذي يريد ان يستظل به ليتقي النكبات والمصائب والمخاوف .

لقد شوه الاديان اناس سموا انفسهم رجال دين ، فلم ينظروا الى الأديان نظرة واقعية ، ولم يعالجوا مشاكل المجتمع على ضوء الواقع ، والزموا الناس أن تعلق ابصارهم بالسماء ، محاولين حل المشاكل بصورة غيبية ميتا فيزيقيه تارة بان ينزل الله الى الارض وتارة بان تكون ارادة الله طوع دعوات الكهنة وتضرعاتهم وتوسلاتهم المغرضة ، فعند كل حادثة يطلبون معجزة تظهر ،

وخارقة للعادة تبعث الرهب والرعب ، وكرامة تخرق نظام الطبيعة ، وحيث تكثر هذه الاتجاهات الروحية ، يكثر التدجيل والاحتيال والكذب والخداع ، ليحتفظ الكهنة بمنزلتهم في نفوس الدهماء ولتبقى لهم كرامتهم عند الأغبياء ، فيستعينون بالشعوذة ؛ والسحر وما شاكل ذلك ، فهذه الحالة السيئة تغرس في نفوس الأذكياء المقت لتعاليم الدين ؛ والاحتقار لرجال الدين ، والأنصراف عن الدين ، ويظنون ان الدين تضاد تعاليمه تعاليم الحياة ؛ وان ذلك خطأ كثير ، فهذا الذنب قائم باصحابه وهم الكهنة ؛ فلا ينبغي ان يتسرب او يدنس الدين ؛ والدين ناصع وضاء يبعث الشعاع الهادى في الظلام ويقود سفينة السلام في متلاطمات الأمواج .

وهو النقى من الغش ؛ الطاهر من الدنس ؛ السليم من النقائص فلا ينبغي ان نلصق به غشاً ودنسا ونقصا هي من عمل قوم اخرين ؛ اقصى اغراضهم نفع يجنونه ؛ ومال يكنزونه وسلطة يبسطونها وعزة يفرضونها ؛ وان تهدمت عقلية الشعب ؛ وفسد ذوقه وساء اعتقاده وانهارت ثقته وغمره الريب في صلاح الانسان .

نحن لا نقول جميع رجال الدين على هذا الخلق المنحط والجهل المعيب فهناك ، رجال مخلصون منزهون عن هذا الانحطاط ، يعرفون الواجب فيقومون به ويقدسونه ، ويعملون بوحي ضمائرهم وارشاد اعتقادهم . وهداية ايمانهم وفي دعوتهم البلاغ المبين .

مع ذلك هذا لايفسح العذر للاعراض . فعلي الفاهم الخبير ان يفتش وينقب ؛ ويرجع الى الدين في منابعه الأولى ويدرس كتبه المقدسة

فعند ذاك تنجلي له الحقائق،ويعرف الحق من الصواب. فان كتب الأديان تعتنى غاية الأعتناء بالقيم السامية الرفيعة كحرية النفس، والمساواة،وحب التضحية ويعتني غاية الاعتناء بالقيم الأجتماعية: كالعدل والمحبة والتعاون ،ويعني غاية الاعتناء بالفضائل الشخصية كالصدق والشجاعة وقوة الأرادة ، ويعني الاسلام بالناحية السياسية الناحية القانونية . وينظم اخلاقية الجماعة بمبادىء رفيعة لم تقصر ،عما فكر فيه الفلاسفة ونظموه من الايام اليونانية الى عصرنا الحاضر .

اعتنى الاسلام بالناحية الاقتصادية فجعل في اموال الأغنياء حقا للفقراء ، كما قسم التركات تقسيما عادلا بالميراث كما قبض على ايدي الجشعين فمنع الاحتكار وقت الغلاء .

لم يقف الاسلام في تشريعه ولم يجمد امام الحوادث المتتالية وامام تقدم الانسانية وتقدم الحضارة ، فجعل في التشريع باب الاجتهاد مفتوحا ،فعلى العلماء ان لا يتوانوا ولا يقصروا ، وعلى كل طائفة من الفرق الأسلامية ان تستنير بما لاختها من فقه واستنباط ،ليتعاون الجميع على حل المشاكل التي يتخبطها المسلمون في شؤونهم الاجتماعية والسياسية

نستطيع ان نقول : اغراض الأسلام خمسة :

عقيدة صافية نظام عادل ،سياسة شورية ، خلق قويم ، سلوك رضى

في حين ان الأديان جميعها قصرت عن هذه الأغراض الخمسة مجتمعة بل تحتوي بعضها دون البعض الاخر لذلك كان الاسلام خاتمه الأديان لمرونته واتساعه.

«الاخلاق»

ان بواعث الأعمال ، واساس الأفعال الانسانية قد تكون غريزة وقد تكون عاطفة وهذه لا نعدها في الاخلاق الانسانية فالخلق عمل صادر عن ارادة وتفكير ،وغرض متصور . الغرض لا بد ان يكون حسنه لذاته وجماله لذاته والذي لا يعلل ونفعه للفرد نفسه ، كالصدق والشجاعة، وقد يتعدى الفرد وقد يكون متمحضا نفعه للمجتمع ،كالعدل ،والامانة ، والوفاء، ونقدر ان نجمل الاشارة الى الخلق بانه طريق السعادة للفرد الانساني او المجتمع الانساني،وان الاشارة قد توضح المعنى اكثر من التحديد المنطقي لان الحدود والرسوم قد توقع المعنى في عسر ،والناظر في ضيق فيضيع الغرض المقصود امام صناعة لفظية .

في الامة الاسلامية طرأ تغيرات على مفاهيم الاخلاق ، فعلى عهد الرسول وآله وصحابته ، كان الخلق يدل على مفهوم يعين على الحياة الفاضلة . وهو طريق السعادة الانسانية ، ويدل على معنى ايجابي ذي صدى بعيد في تكوين الحياة العاملة الطاهرة ، ولما جاء دور الانحطاط ، وشاع التصوف ، وذهب الامر من العرب الى قوم

اخرين ، كالترك ، والتبتر ، ضاع المفهوم الإيجابي ، وحلت النواحي السلبية ، فبعدت الاخلاق عن الحياة الاجتماعية، واصبحت الاخلاق اداة من ادوات الانحلال ، والانكماش ، والانعزالية . واصبحت امهات الفضائل : الزهد والتوكل والتسليم والرضا والقناعة وهذه هي التي ذكرها السبزواري في منظومته ، وكانت هذه اخلاق المتصوفة ، الذين اقصى همهم في الحياة ، الفنا. حتى السعادة التي يطلبها هؤلاء الناس ، لم تعد سعادة توجد على الارض ،وفي دار الدنيا ،بل انحصر وجودها في انظارهم في العالم الاخروي،واصبح اصلاح الحياة ،رقي الحياة ،الرفاهية في الحياة ،شيئاً ممقوتاوعملا مبعدا من الله وعمران الدنيا من عمل اهل الدنيا ، الذين ليس لهم في الاخرة من خلاق ولا في مرضاة الله من نصيب فكان لنا مؤلفات في الاخلاق: كالاحياء وجامع السعادات ومن حذا حذوهما كتب تعلم الناس كيف يموتون ؟ لا كيف يعيشون وجديرة بان ينظر فيها من بلغ الستين لا ان تكون هدى للشباب الحائر ومشجعا للناشيء الخائف ،ولاموجها للرجل المتطلع الطامح.

ان كتب الاخلاق عند اليونان،وكتب الاخلاق في اوربا ، تعلم الناس كيف يعيشون في مجتمع ،فيه منافع وشهوات،وفيه رذائل وجرائم ،وترشد الشباب الى اقرب طريق السعادة،وتوجههم الى الاحتفاظ بنزاهتهم وطهارتهم في اجواء فيها قذارة وفيها رجاسة تعلمهم لتكون روابطهم بالمجتمع اوثق باوطانهم اشدة،وتعلمهم الاحتفاظ بشخصياتهم ،فلاتذوب ولا تنحل،ولا يطغى عليها جانب عاصف من

جوانب الحيـــاة ولا يتساقطون اذا مـــارت الارض تحـــت اقدامهم.

ان المأثور عن اهل البيت ثروة عظيمة تعلم الناس كيف يكونون سعداء، وكيف يكونون فضلاء، وكيف يتصلون بمجتمعـــاتهم اتصالا لا يخشى عليه ان توث حباله او تقطع اوصاله او يعفى عليه الزمن.

ان التعاليم الاخلاقية الاسلامية التي انتهت الينا من الرسول واله وصحبه لا تحول بيننا وبين العلم، الذي هو اساس حضارتنــــا. ولا تمنعنا الثروة التي هي مظهر الحضارة، ولا تصدنا عن اللذائـــذ والمتعات والطيبات التي هي جزء من حياتنا، ولا تباعد بيننا، وبين السعادة التي هي غاية كل مفكر، وهدف كل عاقل، ومثالية كل طامح. بل التعاليم تأخذ بايدينا في مفترق هذه الطرق وتقينــــا التيارات المتضاربة العنيفة وتلفتنا الى المزالق التي يكمن فيهــــا الخطر.

ان تقدم الأنسان ماديا يبعث على الدهشـــة، وعرف من الوان الرفاهية والنعيم ما يشبع نهمه، ويروي غرائزه. ومع هذا التقدم المادي، فالفلاسفة واقطاب السياسة، والمصلحون لايزالون يعلنون: ان حقوق الأنسان مقدسة، يجب المحافظة عليها. والسياسة مهما سمت ديمقراطيتها وتقدمت مبادئها في المحافظة على الافراد والشعوب، فلا تعدوان تحقق العدل في توزيع الحقوق، والاموال، وتهيئة وسائل السعادة، للامم، وافساح المجال للحرية بانواعها المختلفة، لتظهر العقول

مقدرتها ، والرجال عبقريتها في مختلف الميادين . ولاستيفاء المظلوم حقه في التقاضي. فالسياسة تتجه نحو المنفعة، ولا تمس روحية الانسان وتهذيب طبعه. والاخلاق هي التي تتولى ذلك، وأثر اعمال الفلاسفة اصبح واضحاً ملموسا، فالانسانية بدأت تتقدم في التحلي بالفضيلة تقدما نحس اثره ونسمع صداه، والامل يزداد يوما فيوما في تقدم الانسان نفسيا وتهذيبه روحيا ، وان كان التقدم بطيء الخطى فاتر السير.

وال محمد ص كانوا يبثون تعاليم ترشدنا الى السعادة التي هي حلم كل حالم ،وامل كل عامل بل اكثر من هذا ، نستطيع ان نستفيد من الأخلاق التي علمها الرسول واله ان المتحلي بها ، والذي يصوغ نفسته على قالبها ويكيف شخصيته بشكلها ، يصل الى مرتبة فوق السعادة بان تكون نفسه في قواها الخيرة ، وملكاتها النيرة ، ومواهبها السمحة وجبلتها الصافية شبيهة بنفوس الانبياء وروحانيتهم قال الصادق. قال النبي ص : الا اخبركم باشبهكم بي قالوا : بلى يا رسول الله قال :

احسنكم خلقاً والينكم كنفا وابركم بقرابته واشدكم حبا لاخوانه وأصبركم على الحق اكظمكم للغيظ واحسنكم عفوا واشدكم من نفسه انصافا في الرضا والغضب ،

قال الصادق : انا لنحب من كان عاقلًا فهما فقيها حليما مداريا صبورا صدوقاً وفيا ان الله عز وجل خص الانبياء بمكارم الاخلاق فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم تكن فيه فليتضرع الى الله وليسأله اياها)

روى المفضل بن عمر عن الصادق انه قال : عليكم بمكـارم الأخلاق فان الله يحبها واياكم ومذام الافعال فان الله سبحانه وتعالى يبغضـها

قال الصادق : ان الله خص رسوله بمكارم الاخلاق فامتحنوا انفسكم فان كان كانت فيكم فاحمدوا الله وارغبوا اليه في الزيادة منهـا فذكرها عشرة : اليقين . والقناعة . والصبر والشكر . والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة

حدث الباقر ان رسول الله قال لعلي من جملة حديث : عليك بمحـاسن الاخلاق فاركبها عليك بمساوئ الاخلاق فاجتنبها فان لم تفعل فلا تلومن الا نفسك»

كان بعض الفلاسفة يقول : ان القوى الخيرة مبعثرة في العالم فمن حاز اكبر قسم منها فهو اكثر انسانية . والصادق كان يقول : المكارم عشر فان استطعت ان تكون فيك فلتكن فانهـا تكون في الرجل ولا تكون في ولده وتكون في الولد ولا تكون في ابنه وتكون في العبد ولا تكون في الحر : صدق البأس . وصدق اللسان . واداء الأمانة وصلة الرحم . واقـراء الضيف . واطعام السائل . والمكافأة على الصنائع . والتذمم للجار والتذمم للصاحب ورأسهن الحياء »

حماد جاء رجل الى الصادق فقال : يا ابن رسول الله اخبرني عن مكارم الأخلاق فقال : العفو عمن ظلمك وصلة من قطعك واعطاء من حرمك وقول الحق ولو على نفسك.

قال الصادق : ان الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطى المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح.

ان الاخلاق التي تحيا عليها المجتمعات ،وتأمر بها الاديان ،وترشد اليها الفلسفة :هي الفضائل التي تعين على تهذيب النفس وتزيد الانسان علاقة بالمجتمع وقياما بالحقوق والواجبات ،و كلما كان حظ الانسان اكثر من الفضائل . كانت الانسانية فيه اظهر و كلما قل نصيب الانسان من حيازة الفضائل والتحلي بها كان حظه من الوحشية اغزر .

الاديان بتعاليمها المختلفة ، والفلسفة ببحوثها الشيقة الصعبة ، كلها تقدم الوسائل لان يكون الانسان اعرق في الانسانية، واكثر تحليا بالفضيلة ، واوفر حظا من السعادة ،وان الفضيلة تحافظ على الجسد كما تعنى بتهذيب النفس والسعاده تكون ، باكتمال ادوات خير الجسدوالروح .

قال اوسطو : الخير هو فاعلية النفس بارشاد الفضيلة . فان الانسان يتكون من شخصية : اظهر ما فيها مدارك وغرائز ومشاعر وعواطف وتراث اجتماعي،ويتكون من خلق ويتكون من سلوك فقد تكون الشخصية رائعة ،والخلق مستقيما. لكن السلوك سيىء مذموم كغادة الكاميليا قديسة،النفسية والخلق،فاجرة السلوك .هكذا قضى عليها المجتمع.

وقدتكون الشخصية عبقرية ولكن الاخلاقية متداعية مفككة لا تثبت نظير بيرون الشاعر الانكليزي ويتمورلنك.

وقد تكون الشخصية عبارة عن تقليد وانطباع وانعكاس كما

تجدامثلة كثيرة لهذا النوع من سائر الناس يقع تحت نظرك منهم يوميا العدد الكثير ، ـ والاخلاق تحاول ان تجعل الشخصية ، والخلق والسلوك ، منسجمة متمازجة في نفسها ليكون المجتمع مسيرا بارشاد الفضيلة . مستضيئا باشعتها الثابتة ، التي لا يخشى عليها الضعف ولا الانطفاء والخمود .

لقد اخذنا باخلاق محمد واله واصحابه اول امس ، فكنا اسيادا وقادة للعالمين ، واهملناها امس ، فصرنا ارقاء مستعبدين ، فهل ناخذ بها اليوم ، ونهتدي بهداها اليوم علم ذلك عند الله وان كنت من المتفائلين

سوء الخلق

هـــذه مكارم الاخلاق ، وهذه اثارها. فكيف يكون سوء الخلق ؟ بمقدار ما يكون حسن الخلق هو روح الاديان وهو الشكل الجميل الذى تتخذه الشخصية الانسيانية لها صورة وثوبا تتزين به ، وتتحلى برونقه وبهائه، يكون سوء الخلق هو الشكل المخيف الذي اذا تحلت به الشخصية الانسانية ، واتخذته ثوبا ومظهرا يكون مخوفا مرعبا وباعث شقاء وعناء للفرد في نفسه، وللمجتمع في كيـــانه ماذا يقال فيمن ساء خلقه ؟ اذا عامل الناس ظلم، واذا وعد اخلف واذا حدث كذب، واذا اوتمن خان واذا امكنته الفرصة وثب، بعيد، عن الخير، قريب من الشر، فارس في الفتنة عاجز في اجتماع الكلمة والوحدة . لذلك كان الرسول (ص) يقول : ابى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة قيل : و كيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : اذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم .

قال الصادق : من ساء خلقه عذب نفسه . وقال الصادق ان سوء الخلق ليفسد العمـــل كما يفسد الخل العسل . ولا يكتفي بـــأن سوء الخلق يفسد الأعمال حتى ابان ان سوء : الخلـــق قد تتعدى مضاره وموبقـــاته الى النفس البشرية فيفسد معتقدهـــا

ويهدم مبادئها التي اعتنقتها . واذا تهدمت العقيدة ينتج من ذلك الشك والقلق وينمحي الرجاء والامل . ويستقر اليأس والتشـاؤم من مصائر الحياة ،كما يستقر الريب والشك في مصادرها.

من هو المؤمن ؟

العبـادة احدى غرائز النفس البشرية ، وعلم الاجتماع يعلن ان حرية الغرائز تبعث على الرذيلة وتغري بالجريمة . فالغرائز تبعث على الرذيله وتغري بالجريه .

فالغرائز جميعها ان قيدت ، وحصرت في ضمن اطارها اللائق بهـا تكون وسيلة من وسائل السعادة للفرد ،ووسيلة من وسائل سعادة المجتمع وتقدمه .يعشق شـاب فتـاة فيقول لها :انا عبدك يقول الاول .

فترانا يوم الكريهة احرا　　را وفي السلم للغواني عبيدا

وهكذا اذا اعجبت فتاة بشاب تعلق عبوديتها له . قد تجد من الشعب اقو امتـلات نفوسهم اجلالا لبعض اعيانهم فيعاملونهم معاملة اسياد

قرر علم النفس ان الاجلال والانبهار من العواطف النفسية ، وعاطفة الاجلال ذات صفحتين : شعور بعظمـة شيء . وشعور بحقـارة المستعظم ومن هنا ينشق طريق العبـادة ويعبـد للسالكين

كثير من الصالحين يحسبون العبادات الشكلية كالصلوة والصوم وتلاوة الاوراد هي الايمان بجميع نواحيه وفي ذلك اعوجاج وبلادة لا نظير لها

ان العبادة نوع من الترجمة عن الشعور بالاجلال والمهابة والمخافة فلذلك تعد الاعمال العبادية الخالية من شعور الاجلال ومتفرعاته ، عبادة جوفاء في انظار الفقهاء . كجسم بلا روح .

ان بسطاء الناس يحسبون من واظب على الاعمال العبادية هو المؤمن حقاً ، عندهم ان المؤمن يرادف المتعبد ، وذلك صرف اللفظ عن معناه ومدلوله فان الايمان معنى اسمي لا معنى حرفي نعم هو من المعاني النسبية النفسية ، ليس من المعاني الخارجية التي نحس بها ونشعر بواسطة الحس الظاهر من سمع وبصر .

جاء الرسل الكرام وقد عرفوا بالهامهم الصادق مكانة العبادة من النفس الانسانية فالزموا الاتباع ان تكون عبادتهم منحصرة في دائرة لا يتعداها العابد ، وان تكون لله وحده ، لا يشاركه في العبادة احد ، خشية ان تنطلق هذه العزيزة من عقالها ، فيعبد الناس اشياء لا تستحق العبادة ،

كلنا يعرف ان الايمان له ناحيتان : ناحية نفسية وهذه الناحية النفسيه ، هي المطلوبة ، واذا تحلت بها النفس واعتقدت . يصدق عليها انها مؤمنة ومتعلقها ان تكون في النفس فكرة تصديق او اطمئنان : بالله ، والرسول ، واليوم ألآخر . هذه هي الناحية

النفسية وهي موضوع التكاليف الاسلامية.

والناحيه الاخرى الاجتماعية فاذا كانت الناحية الاولى متحققة ، فهذه موضوع مستقر ثابت ،مطلوب تحقيقه ، والتحلي به ، ولا يخشى عليه من كبيرة تزيله ، ولا يثلم جانبه ترك واجب ولا يهدمه شيء سوى الشرك والالحاد . او ما يؤدي الى الشرك والالحاد .

والناحية الاجتماعية ان يكون الايمان هو القالب الذي يصوغ الفرد نفسيته على وفاقه ، لينسجم مع المجتمع ، وتتناسب المواد سبب فعال في قيام الهيكل الجبار ، فالانسان المصوغ في احسن تقويم . والقصر الفخم ، والشجرة الباسقة . والمركب الماخر عباب البحر ، كل اولئك انسجمت اجزاء هيكلها وتناسبت .

والايمان الذي به ينسجم الفرد مع المجتمع هو الايمان الكامل ، وبه قام للمسلمين مجدهم الرفيع وعزهم المنيع وصولتهم الرهيبة ، وبهذا الايمان قاموا اولا ولن ينهضوا من عثارهم اخيراً الا به . والى هذا الايمان كان يدعو اهل البيت ، قال الصادق : المؤمن له قوة في دين ، وحزم في لين ، وايمان في يقين ، وحرص في فقه ، ونشاط في هدى ، وبر في استقامة ، وعلم في حلم ، وكيس في رفق ، وسخاء في حق وقصد في غنى ، وتجمل في فاقة ، وعفو في قدرة ، وطاعة لله في نصيحة ، وانتهاء في شهوة ، وورع في رغبة وحرص في جهاد وصلوة في شغل ، وصبر في شدة ، في الهزاهز وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يغتاب ، ولا يتكبر ، ولا يقطع الرحم ، وليس بواهن ولا يغلبه فرجه . الى ان يقول : ينصر المظلوم

ويرحم المسكين . الى ان يقول : لا يرى في حلمه نقص ، ولا في رايه وهن ولا في دينه ضياع ، يرشد من استشاره ، ويساعد من استعانه ويكيع (١) عن الخنا والجهل »

قال الصادق : ينبغي للمؤمن ان يكون فيه ثمان خصال .

وقور عند الهزاهز ، صبور عند البلاء شكور عند الرخاء ، قانعا بما رزق الله ، لا يظلم الاعداء ، ولا يتحامل للاصدقاء ، بدنه منه في تعب ، والناس منه في راحة ، ان العلم خليل المؤمن والحلم وزيره ، والعقل امير جنوده « قال علي : قال رسول الله ص :

ان الله خلق الاسلام فجعل له عرصة ، وجعل له نورا ، وجعل له حصنا ، وجعل له ناصرا ، فاما عرصته فالقرآن واما نوره فالحكمة واما حصنه فالمعروف ، واما انصاره فانا واهل بيتي وشيعتنا »

على عهد الرسول المسلمون جميعهم شيعة الرسول واتباعه واصحابه ومريدوه ، فهو يعم المسلمين عامة ، لا يخص قوما دون قوم ، فلقد قاله رسول الله في عهد ، ولم يكن هناك سوى إسلام وشرك ، المسلمون اتباع الرسول والمشركون اتباع الأوثان ، وتعدد الالهة ، ومنكروا الرسالة ولم يكن هناك سنة ، ولا شيعة .

سأل علي ع رسول الله ص عن صفة المؤمن فقال : عشرون

(١) كاع جبن

خصلة في المؤمن ، فان لم تكن فيـه لم يكمل ايمانه ، ان من اخـلاق المؤمنين ، يا علي ، الحاضرون للصلوة والمسارعون الى الزكوة ، المطعمون للمسكين ، الماسحون رأس اليتـيم ، المطهرون اطيارهم ، المتزرون عـلى اوساطهم ، الذين ان حدثوا لم يكذبوا ، وان وعدوا لم يخلفوا ، وان ائتمنوا لم يخونوا رهبان الليل ، أسد النهـار ، صائمون النهار ، قائمون الليل لا يؤذون جارا ، الذين مشيهم على الأرض هون ، وخطاهم الى بيوت الآرامل وعلى اثر الجنائز »

من هذه الاحاديث المشرقة الطاهرة نستنبط ان المؤمن يستوحي من القرآن الهداية والنور ، القرآن نؤخذ منه الاتجاهات التي ينبغي ان نسير عليهـا .

ولكن نستضيء بالحكمة والعلم ، ونستمد منها ما يعيننا على على فهم القرآن ، وفهم الحياة ، ونكيف انفسنا حسب المثل العليا ، التي تسير بالأنسان قدما .

المؤمنون ايمـانهم ثابت بمعاني الاسلام ، لاتضعفهم الهزاهز ولا تعبث بهم العواصف ، مهما كانت عاتية .

اسد في النهـار . وفي الحروب احوج ما يكون الانسان الى ان يلبس ثوب الاسد ، وثوب الايمـان اجـل وارهب واجمل وانضر ، المؤمن لا يخاف جوره في معاملة ، ولا كذبه في حديث ، ولا خيانته لاخر مثله ، ولا خيانته لوطنه ولا خيانته لامته ، ولاخيانته لقانونه ، ولا خيانته لدينه ، فهذه تعم الجميع

ولا يشذ عنها شيء .

كلما كان الانسان حاويا لهذه المزايا كان ايمانه اكمل واوفى واتم ، وكلما كان في مزاياه نقص كان ايمانه انقص ، والايمان يعرضه الزيادة والنقصان ، والقوة والضعف ، والنشاط والفتور ، سواء في ذلك الناحية النفسية ، والناحية الأجتماعية

الناحية النفسية في الناس متفاوتة ،تبعا لتفاوت قواهم وملكاتهم فالناس فيهم الذكى والبليد، والعبقري والأبله ،والحليم والاحمق، فايمان الذكي غير ايمان الغبي ، وايمان الفيلسوف غير ايمان الأمي .

بل نقدر ان ندعي اكثر من هذا فنقول : ان اليقين في نفسه يقوى ويضعف ، ويزيد وينقص ، وينضر ويذوى ، ونسوق لذلك مثلا ، معرفة الانسان بالنار قد تكون بواسطة رؤية الدخان من مكان بعيد ، وقد يرى الشعاع المتألق ،وقديصلى حرارتهافيكون اليقين من ثلاث جهات . لامن جهة ،او جهتين .

واهل البيت ابانوا للناس ان الايمان فيه تفاوت ، وهو مقول بالتشكيك كما يقول المناطقة قال الصادق : ان الايمان عشرة درجات . بمنزلة السلم ، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة ، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد : لست على شيء حتى ينتهي الى العاشرة، تسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك واذا رأيت من هو دونك فارفعه اليك برفق،ولاتحملن عليه مالا يطيق فتكسره

فان من كسر مؤمنا فعليه جبره »

وقال الصادق : ان الله وضع الايمان على سبعة اسهم : على البر والصدق ، واليقين ، والرضا والوقار ، والعلم ، والحلم . ثم قسم ذلك بين الناس فمن جعل فيه السبعة الاسهم فهو كامل محتمل ، وقسم لبعض الناس السهم ، ولبعضهم السهمين ، ولبعضهم الثلاثة ، حتى انتهوا الى السبعة .

المحبة

آخر ما يصل اليه الأنسان ، من الروابط التي تربطه باخيه الانسان هو الحب ، ولذلك قال ارسطو : لو احب الناس بعضهم بعضا ما احتاجوا الى العدل » معناه لو كان الحب مستفيضا بين افراد المملكة ، فشملهم روح المحبة ، كانوا في غنى عن دولة، تسهر على المصالح ، وتوزع السعادة ، وتهيئة اسبابها وتعيد لكل ذي حق حقه

وتبيانا لان الحب هو اسمى العواطف، وانه اخر الروابط بين افراد الشعوب قال ابن عربي

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي اذا لم يكن ديني الى دينه داني
فؤادي اضحى قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
ادين بدين الحب حيث توجهت
ركائبه فالحب دين وايماني

والحب قد يكون صدى الغريزة الجنسية ، وهذا ليس بالحب الذي نتحدث عنه ، ثم هو نوع من الحب العنيف الطائش ، وهذا الحب غايته اللذة ، والغريزة قد تخمد ، وقد تهب هوجاء طاغية .

والحب قد يكون مبعثه المنفعة ، وهذا قد يحيا اذا واصلت المنفعة تغذيته ، وقد يموت اذا ذهبت المنفعة فالقلوب مجبولة على حب من احسن اليها ، وبغض من اساء اليها ، وفي ايامنا هذه امثلة كثيرة للاتباع الذين يحبون زعيما ؛ حيث انه يبرهم ، ويهيء لهم اعمالا تدر عليهم الربح الوفير والخير الكثير .

والحب الذي نبحث عنه هو يقوم على ملاك واحد . وذلك بان تتحلى النفس بالفضيلة : فتغيض على الانسان من طيبها اريجا ، ومن زهرها نضارة وبهجة ، ومن نسائمها راحة وانتعاشا ، ومن نورها شعاعا .

وقد تعجب بالفضيلة ، والكمال ، فتشعر بالاجلال . والحب نحو من يتحلى بهذه الامور ، ومن طبيعة الفضيلة ان تتغاضى عن السقطات والهفوات ، وتنسب كل سوء ، وقبيح ، وشر يصدر من الانسان ، انما مبعثه ضعف ألانسان ، وضعف ارادته ، وعقله امام غضبه وشهوته ، فانتقامه ، ومغامرته وطيشه ، ونزقه دليل على الهزيمة ، في معترك الحياة ، دليل على انه لا يثبت في صفه امام هجمات بواعث السوء التي تهدمه وتقضي عليه ومحركات الشر التي تستفزه .

واهل البيت يقولون للدين غاية ، هي ان يصقل النفس وينزع عنها خشونة الغريزة ، ويبقى لها طراوة الحب .

قال الباقر لزياد الحذاء : يا زياد ويحك وهل الدين الا الحب الا ترى الى قوله : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، اولا ترى قول الله لمحمد ص حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وقال : يحبون من هاجر اليهم فقال : الدين هو الحب والحب هو الدين »

الفضيل بن يسار سأل ابا عبد الله الصادق عن الحب والبغض ثم تلى هذه الأية : وحبب اليكم الأيمان وزينه في قلوبكم و كره اليكم الكفر والفسوق والعصيان. اولئك هم الراشدون قال الباقر : ود المؤمن في الله من اعظم شعب الأيمان ، الا ومن احب في الله ، وابغض في الله ، واعطى في الله ، ومنع في الله فهو من اصفياء الله .

ان الاحزاب الأجتماعية ، او الاحزاب السياسية اذا فهم الاعضاء المبادىء ، وتذوقوها ، واشربوها ، تكون تلك المبادىء رابطة اتصال ، وجهة جامعة ، ووحدة الاشتراك ، في الاهداف والاماني ، والعواطف والمعتقد ، وهذه الامور ، توجب بينهم حبا متمكن الجذور في القلوب متفرع الاغصان والافنان ، يبادرون اليه ، متفئيين ظلاله ، من سمائم الحياة القاسية ، ولوافحها المؤلمة والى هذا الهدف يشير الحديث الحب في الله والبغض في الله بمعنى ان المبادىء الإسلامية هي القدر الجامع والوحدة المشتركة بين

المسلمين :

طبيعي مألوف ان يدعو اهل البيت الى المحبة ، لان امامتهم على هذا قام بنائها ، ورست دعائمها .

وانتشرت الدعوة على السنة الدعـــاة بهـذه الصورة الجميلة المألوفة ، فقد اعلن الصادق قائلاً في حديث طويل: ان امارة بني امية كانت بالسيف ، والعسف ، والجور ، وان امامتنا بالرفق ، والتألف ، والوقـــار والتقية ، وحسن الخلطـــة ، والورع ، والاجتهاد »

فاذا كانت دعوتهم قائمة على الرفق والحب ، وحسن الخلطة ، والمداراة فلابد ان يكون الحب اكبر غرض في دعوتهم واكبر مقصد ؛

واذا عرفنا ان الصادق عاش في ايام افول نجم الامويين ، وبزوغ شمس العباسيين ، وعرفنا الأضطراب الذي وسع البلاد الاسلامية ، والحروب التي امتد ميدانها من فـــارس الى العراق فسوريا فمصر وترجم ذلك بقوله : فسد الزمان وتغير الاخوان وصار الانفراد اسكن للفؤاد ؛ عرفنا حاجة المجتمع الاسلامي الى فيض غزير من الحب ؛ تجري تياراته في البلاد الاسلامية ، لان أيام الحروب والفتن تتزعزع فيه الثقة ، ويفقد الاطمئنـــان وهول الواقع المرير يبعد المثل العليا عن الانسان ويشيع الكذب وتكثر الحيل والغدر والخداع . وهذه بواعث فعالة للحقد والبغضاء والكفر بالاخلاق الرفيعة فيجب بوحي الضمير وارشاده وحكمه التربية

ان ينشط دعاة الخير ، ورجال الفضيلة ، واولياء الله الى انقاذ اكبر عدد ممكن من غرقى الفتن ، والفساد ، والحقد ، بنشر الحب ، ومبادئه ، والعدل وخواصه ، والتآلف ومناسباته .

لهذا كان الصادق يجعل الحب هو المقصود من الايمان .

روى ابو بصير عن الصادق انه قال : ان المتحابين في الله يوم القيمة على منابر من نور قد اضاء نور وجوههم ونور اجسادهم ونور منابرهم على كل شيء حتى يعرفوا به فيقال : هؤلاء المتحابون في الله)

عن الصادق قال : ما التقى مؤمنان قط الا كان افضلهما اشدهما حباً لأخيه .

عن الصادق قال : ان المسلمين يلتقيان فأفضلهما اشدهما حباً لصاحبه .

القلوب مفطورة على الحب ، ولكن سير الحياه الانسانية يدلنا ان الحب يختلف قوة وضعفاً ، ويخضع لتطورات وتغيرات ، ويسير صعداً في المتانة والانبساط ، يبدأ في نفس الطفل بحب ابويه ، او ما يقرب من يده وعينه ، فاذا تدرج تبعاً لنمو الجسم والمشاعر ، تعدى تلك البيئة الضيقة ، إلى ابناء المحلة ، فاذا تدرج في النمو تتسع دائرة حبه ، حتى يشمل وطنه وقومه ، فاذا زادت معرفته اصبح الحب نوعاً من الاجلال والمهابة ، وترفع عن الحب الأرضي الذي يكون وسيلة ومقدمة لغرض آخر ، ويصبح

الحب هو نفسه غرضاً ومقصداً ، وذلك يكون في نفوس الفلاسفة ، والعارفين ، والشعراء ، والفنانين ، ويحاول بعض شعراء الغرب ان يجعلوا الحب غاية لا وسيلة ، واذا كان غاية يكون اعون على تهذيب النفس وصفائها ، كما صنع لامارتين في قصة (رفائيل) فان الحب المجرد سما بنفس رفائيل ، وترفع عما يدنسه من علائق المادة ، وسما بنفس جوليا ، فنقلها من الالحاد الى الايمان ، وعقيدة الخلود .

ولأهل البيت في هذا المعنى كلمات بليغات ، قال رسول الله (ص) : لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما .

قال زين العابدين : الهي من ذا الذي ذاق حلاوة حبك فرام منك بدلا ، ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا ؟

وقال زين العابدين : الهي ما ألذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب ، وما اجمل المسير اليك في مسالك الغيوب ، وما اطيب طعم حبك ، وما اعذب شراب قربك .

قال الصادق : حب الله اذا اضاء على سر عبد اخلاه عن كل شاغل ، وكل ذكر سوى الله ، والمحب اخلص الناس سراً لله ، واصدقهم قولا ، واوفاهم عهداً وازكاهم عملاً ، واصفاهم ذكراً ، واعبدهم نفساً .

قال زين العابدين : غلتي لا يبردها الا وصلك ، ولوعتي لا يطفئها الا لقائك ، وشوقي اليك لا يبله الا النظر الى وجهك ،

وقراري لا يقر دون دنوي منك ، ولهفتي لا يردها الا روحك ، وسقمي لا يشفيه الا طبك ، وغمي لا يزيله الا قربك ، وجرحي لا يبرئه الا صفحك ، وصدى قلبي لا يجلوه الا منك »

قال علي : ان لله شراباً لأوليائه ، اذا شربوا سكروا ، واذا سكروا طربوا ، واذا طربوا طابوا ، واذا طابوا ذابوا ، واذا ذابوا خلصوا ، واذا خلصوا طلبوا ، واذا طلبوا وجدوا ، واذا وجدوا وصلوا ، واذا وصلوا اتصلوا ، واذا اتصلوا فلا فرق بينهم وبين حبيبهم »

طبعاً ان هذا الحب ينبسط على الكون كله ، حيث ان الكون الباهر بعجائبه ، المزدان بكواكبه ، المحير بألغازه ، المدهش باسراره ، المتجلية روائعه ، والمتقنة بدائعه ، هي آثار حكمة الله ، ومظهر قدرة الله ، فتكون تحمل دلالة على مقدرها ومصرفها ، ولذلك هذه الطائفة ترى جلال الله وجماله ، في الزهرة الباسمة ، والنجمة اللامعة ، والنهر الجاري ، والجبل العالي ، وفي كل مادي محسوس او ملموس .

التضحية

آخر ما اهتدت اليه الفلسفة في بحث النسبة بين القيم الانسانية ، الحاحها واصرارها على ان التضحية تقع في القمة من القيم الانسانية ، وان الرجال الذين يبلغون تلك القمة هم قليلون جداً ، لوعورة الطريق ، ووفرة المصاعب امام السالكين ، وعناد الحياة ان تستسلم لخلق التضحية ، ترتديه ثوباً قانياً ، وتتخذها حلية ذهبية رائعة ، تتحلى بها وتزدان .

اكثر من رأيت وسمعت ، يحيون في اجواء محدودة باطار من الغرائز والعواطف ، ويستعملون العقل والدين هادياً ومرشداً في داخل ذلك الاطار ، لا يكلفون انفسهم مشقة الوثوب من فوقه ، التجاوز عنه ، فهم يفهمون الحياة لحم ودم ، وما تستتبع غواية اللحم والدم ، من طعام ، وشراب ، وجاه ، ونفوذ .

طبعا تكون موازينهم للقيم والفضائل بما يستتبع كمية اكبر ، وعدداً اوفر ، من مسعفات هذه الحياة وروافدها ، ووسائلها ومقتضياتها .

وطبعا تكون احكامهم بالصواب والخطأ ، والحق والباطل ،

وجميع الاحكام التي يحملها الضمير في امثال هذه المواقف - سيما حيث نفقد المقاييس الحسية - تكون مصبوغة بلون المنفعة المادية، فكل عمل يكرن نتاجه اوفر مادة فهو صواب وحق، وكلما قل النفع فهناك نقائض تلك الاحكام واضدادها .

هذه اللغة التي يفهمها عامة الناس، وهذه هي المقاصد التي يسهرون لها، ويحرصون عليها، ويبذلون في سبيلها كل ما عندهم من قوى، ويسخرون كل ما عندهم من ملكات ومواهب، تفتقهم الحيل، وتشق الطرقات، وتفتح الابواب، ليذكروا المنفعة المادية والخير المادي، ويقفون عنده لا يطمحون الى ما ورائه .

وبهده العين نظر ارسطو الي غاية الاخلاق فجعل السعادة غاية علم الاحلاق، ولكن سانتهلير حمل عليه حملة منكرة، وفند اقواله في ذلك تفنيدا حكيما، فجعل الواجب وطاعته هو غاية الاخلاق، لان الواجب قد يقضي بهدم السعادة، وبالتضحية بالحياة ومقوماتها في سبيل الواجب .

هناك اناس يعتقدون انهم يعيشون لأنفسهم، لا ينظرون الى أن اوطانهم ومواطنيهم يشاركونهم في حياتهم ولا الى ان بينهم وبين مجتمعهم حقوقاً متبادلة، فهؤلاء دائرتهم ضيقة، لا يبالون حاقت الكوارث بالناس حولهم اذا كانوا سعداء هانئين، موفرة لهم ادوات العيش الرضي، والترف الناعم .

ولكن الصفوة المختارة من قادة الأمم، ومعالم التاريخ

وكواكب الشعوب المشرقة ، تترفع كثيراً عن هذه الافاق الضيقة ، الأجواء الخانقة ، والحياة المنحطة ، التي هي امس رحما بحياة الحيوان الذي يعيش بغريزته ، ولغريزته لا شيء وراءها هؤلاء تجسم في نفوسهم محبة الانسان اينما كان فهم يعملون لخير الانسان ، وان اصابهم الضر ، ونالهم الأذى ، ممن يحبونهم ويعطفون عليهم ، ويضحون لأجلهم .

بل قد توجد صفوة الصفوة ، وهم الذين سمت مثاليتهم وصفت نفوسهم ، فهم يحبون الحق والعدل لذات الحق والعدل ،ويعتقدون ان الحق هو اسمى ما يكون ،ومازج نفوسهم حبه ، وخالط دمائهم ، واستولى على اهوائهم وقلوبهم، فهم يتعصبون له ويحسبون انفسهم قبيله وعشيرته ، اذا اراد ان ينتسب اوينتمي ، فهم انصاره واعوانه لأن رحمه متصلة برحمهم ، ونسبه بأنسابهم .

ان الأنسانية مفتقرة إلى هذه الطائفة في سيرها اللاغب المضنى لانها تجد عندهم تأساء ، وتعزية ، وتجدهم قدوة ومثالا يحتذى ، ومناراً يهتدى بأضوائه ، واذا رجعت الامة الى تاريخها والى الذين انجبتهم تجد هذه النخبة .

ان هذه الصفوة من الانسانية تنزه نفسها عن نزعات الفوارق التي تسير بدوافع العصبية وبواعث الاهواء التي تنحرف الى حزبيات او الى سلالة ، او الى لون او الى اقليم وبيئه . بل تحيا في دائرة معانيها وقيمها من حب وخير وانسانية وتجذب الى ما هو اسمى مما يغمر الناس من بواعث وخوالج واغراض واغراضهم هي

الى السماء اقرب حيث لا مجال فيه تلعب الغوايات والهوايات وطبعاً كل ما هو لاصق بالارض بعيد عنهم فهم يحتقرون هذا الجسم ويضحون به لاجل نصرة الروح ومبادئها وامثلتها ، فاذا وقعت الواقعة وقتلوا في سبيل مبادئهم ومثاليتهم . فلا تحسبنهم ماتوا وعدموا ، انهم ماتوا واندمجوا في روحية الامة وفي نفسيتها وغيروا كثيراً من نفسية الاحياء حيث ادخلوا فيها كثيراً من الطهر والصفاء فاذا اذبت قطعة السكر في كوب ماء فلا تحسبن قطعة السكر فنيت وتلاشت انها مازجت الماء فزادته حلاوة وعذوبة واستساغة ولذة وهكذا رجال التضحية يغيرون من نفسية الأمة فتقيم لهم الذكريات والتماثيل احياء لهم واكبارا لجهودهم وتمتزج المباديء التي ضحوا بانفسهم لاجلها في روحية الامة فتكتسب صفاء وانسانية

هي التي شادت مجدها ، وبنت قوميتها ومصدر عظمتها وفخارها بهم تعتز وبذكراهم تفتخر ، وهم الذين مهدوا لها العظمة ولقنوا ابنائهم دروس البطولة ؛ حيث انهم اعرضوا عن الرغائب وثنوا عطفهم عن المغريات ، وكانت ميسورة لهم قريبة من متناولهم ، فتركوها وتنازلوا عن حياتهم ، ولم يتنازلوا عن عقائدهم ولم يستهينوا بافكارهم وكانت العقيدة اجمل جميع رغائب الوجود والحياة الحسية التي تتنافس فيها الناس

ان التضحية من الاخلاق المركبة : اولا ان يكون صاحبها على حظ كبير من شجاعة النفس ، شجاع غاية الشجاعة من يقابل الخطوب والنكبات والحروب والمخاوف بقلب ثابت وفكر مجتمع

ونفس هادئة وجأش رابط ، ثانيا ان يكون صاحبها على حظ كبير من سخاء النفس ، فانه يسخو بماله ويسخو براحته ، ويسخو بحياته ، ثالثاً ان يكون في اعلى درجات الايمان والاقتناع بمعتقده ومبدأه ومعرفة صدقه من كذبه وصحته من فساده، فهو واثق اشد الوثوق مطمئن غاية الاطمئنان انه محق في دعواه مصيب في عمله مرتاح لقيامه بواجب يشق على الناس جدا ويعسر ان يتحملوه او يتحملوا شيئا من آثاره وتستحيل في عينه تلك الالام الى لذة ، وتلك المتاعب الى راحة وشحوب الموت الى جمال وابتسام ، وذبوله وجفافه الى نضارة وطراوة وغضارة ، فهو يقدم على التضحية بهذا الخلق المؤلف من هذه الاصول الشريفة الرابحه.

ان اهل البيت عرفت لهم التضحية مبدأ وطريقاً ، يقول بعضهم القتل لنا عادة ، و كرامتنا من الله الشهادة، وفي حادثة كربلاء تلك المأساة الدامية التي لم يسجل لها التاريخ ضريبا في فصولها واوضاعها ومصادفاتها ، ولقد اقدم اهل البيت بشوق وشغف ، على معانقة الموت بابشع صوره وامر موارده ، وعرف لهم قلة المبالاة والارتياح للموت ولقد اجاد الهندي

يتمايلون كانما غنى لهم وقع الظبى وسقاهم اكوابا
وكانهم مستقبلون كواعبا مستقبلين اسنة وكعابا

خلق موروث وجبلة طيبة منتقلة من رسول (ص) الله الى ذريته ، ان تكون الآخرة في اعينهم اثمن من الدنيا فما في الدنيا

من خيرات ومتع ، لا تعدل الثبات على المبدأ والوقوف عند العقيدة وما اجمل النفس الكبيرة ان تضحي بما في هذه الدنيا بل بالدنيا نفسها في سبيل العقيدة الصالحة والفكرة السامية ، والغرض وبهذا يمتاز اهل العقائد والاخلاص.

خرج الحسين في سبيله ، وفي نفسه عقيدة يحاول ان يحرص على وحيها وارشادها ، لا يرهب الموت ولا يروعه حادث من حوادث الدنيا في سبيل مبدئه وعقيدته ، فالحسين لم يكن مطمئناً ان تكون الشوكة له ، والغلبة في جانبه .

خرج الحسين الى غاية وضع خططها ، ورسم تصاميمها الأولى عارفاً ان المصير الاخير هو الشهادة ، ولكنه يربح المبادىء التي نذر لها نفسه وبذل مهجته وهي : الحق ، والعدل ، الانسانية ، والمساواة فلقد خطب قائلاً : الا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا الا واني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما ، ويدلنا على انه عارف بالمصير الذي ينتظره قوله : كأني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني اكراشاجوفا) .

رأى الحسين من الطغيان والأثرة والأستبداد ما لا يمكن الصبر عليه ، فحاول ان يبعث في نفوس الناس روحاً نشيطة صالحة تعرف الحق وتحرص عليه ، فحرك بشهادته عقولهم الراكدة وايقظ نفوسهم الخانعة القانعة التي افترسها اليأس والقنوط وملكتها الرغبة والرهبة ، لكن لايزال فيها بارق امل ، وبقية من رجاء

فقدم لها باستشهاده ما ينهض بها من ركودها ، وينعشها من فتورها ، فسرعان ما استعادت نشاطها وسرت الحياة في جسمها الواهن والنضارة في عودها الذاوي .

وقفت المعاني السامية من عدالة اجتماعية، ومن انسانية مهتضمة ومن مساواة مختنقة ، ومن حرية مسلوبة تستصرخ وتستغيث تفتش عمن يناصرها ، وينهضها من كبوتها ، ويعالجها مما احاق بها من الم وضر ، فتلفتت في الآفاق والاجواء فما وجدت سوى شخص واحد وهو الحسين فقام بالواجب ، وبذل الجسد المكون من عناصر الارض لتربح وتفوز القيم ففازت باستشهاده وتعالت اصدائها وانبعث انوارها فقام اهل المدينة وقام التوابون الى ان انقرضت دولة الجور وتساقط عرش يزيد قطعاً مبعثرة .

قال علماء الأخلاق : اذا امتلأت نفس الفرد بروح التضحية في سبيل المجموع فلا يمكن ان تنهار تلك الأمة او تغلب ، وعلى هذا في عصرنا المانيا وانجلترا ، والعرب في ايامنا هذه ينفرون من هذه المشاعر ، وتستولى عليهم محبة المنفعة والطمع والنفوذ ، فلذلك لا تجد عندهم تماسكا ، ولا ترابطا ، ولا معاهدة وان كانوا يزعمون ان هناك وحدة عربية فاين فلسطين واين اسكندرون بل تعدت الصحف الاوربية الحد فقالت : ان سياسة العرب تصاغ خارج بلاد العرب .

فالتضحية ، والاستشهاد من اخلاق اهل البيت ، ومن اخلاق اتباعهم ، فالحسن ضحى بالخلافه صيانة لدماء اصحاب ابيه الذين

انهكتهم الحروب ، وهكذا سار زيد بن علي ، وابنه ومحمد وابراهيم وأحزابهم ، على هذا النهج سارت الشيعه ، ولا تزال الشيعة تطبع نفوسها على غرار اهل البيت في الحب والتضحية والخير .

فحجر واصحابه وسليمان بن صرد واصحابه الى ان بلغ الحال في عهد المتوكل ان يفرض القتل على زائري الحسين . فكل عشرة من الزائرين يقتل منهم واحد ويتسابق العشرة ، كل يحب ان يكون هو القتيل الى ان ضجر المتوكل فهدم قبر الحسين .

قال علي بن الحسين : قال رسول الله (ص) : ما من قطرة احب الى الله من قطرة دم في سبيل الله .

قال امير المؤمنين : اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه الى ان قال هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالاسداد واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف .

ابو بصير قلت لابي عبدالله : اي الجهاد افضل ؟ فقال : من عقر جواده واهرق دمه في سبيل الله .

كتب جعفر الباقر الى بعض خلفاء بني امية ، ومن ذلك ماضيع الجهاد الذي فضله عز وجل على الاعمال وفضل عامله على العمال تفضيلا في الدرجات والمغفرة والرحمة لانه به ظهر الدين وبه يدفع عن الدين وبه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم

بان لهم الجنة بيعا مفلحا منجحا اشترط عليهم فيه حفظ الحدود واول ذلك الدعاء الى طاعة الله من طاعة العباد والى عبادة الله من عبادة العباد والى ولاية الله من ولاية العباد .

روى السكوني عن الصادق عن ابيه من ابائه : ان النبي ص قال : فوق كل بر بر ، حتى يقتل في سبيل الله فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر .

وحينما فقد المسلمون روح التضحية واغفلوا الجهاد في سبيل المعاني السامية ذهب عزهم وركدت ريحهم وهانوا على الدول ، حتى بلغ الحال بالصحف الأروبية ان نعتت الدول العربية بالاصفار السبعة بمناسبة جلاء العرب عن فلسطين ، وحروب الدول العربية السبعة لجماعة من شذاذ الافاق واعانتهم الدول الغربية .

ولن يعود للعرب وللمسلمين مجدهم الا ان اتفقت كلمتهم وقضوا على النزعات المذهبية والفواصل الأقليمية ، واعرضوا عن العصبية العشائرية ، ومراجمة الاسر على السلطة ، والجهاد واجب على المسلمين ، الا اذا اصبحت حقوق الأنسان مقدسة ، وسمت مثالية الناس ، وانتظمتهم روح انسانية رفيعة ، تتعالى عن اللون ، والدم والمناخ ، ولن يكون ذلك الا اذا مشى السبرمان على الارض . وقبل ذلك لا بد من ثورات ، وتضحيات ، ومتاعب ونكبات تتحملها الانسانية ليتحقق حلمها الجميل واما في ايامنا هذه فلا علاج إلا قول رسول الله (ص) كما حدث به الصادق قال رسول الله : الخير كله في السيف ، ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنة والنار .

المال والعمل

اعتادت كتب الاخلاق الاسلامية ان تجعـــل الفقر فضيلة من الفضائل التي ينبغي ان تطلب بالحاح ، كما اعتادت ان تجعل حب الدنيا اساس الشر وان تجعل السعي للرزق وطلب المال عملاً ينافي فضيلة الزهد ، وفضيلة التوكل .

لقد اساء المتصوفة الى التاريخ الاسلامي، والى العقلية الاسلامية بنشر هذه الافكار التي ان صلحت في حين ما ، فانها لن تصلح دائماً ولا تنسجم مع العقيدة الاسلامية الخالدة .

ان الله خلق هذه الدنيا ونحن من ابنائها ، وملأها بالخيرات الحسان والطيبات ، ومع ذلك يزهدنا فيها وينفرنا منها ونتركها للعصاة والطغاة الغافلين .

ان الدين الاسلامي يريدنا اقوياء مجاهدين . اعزاء نصلح لقيادة الشعوب الى الخير ، ولا تكون قوة الا باستعمال النعم والخيرات التي زود الله بها هذه الدنيا .

ولكن اهل البيت كانوا لا يتوانون يذيعون بين محبيهم واتباعهم

فكرة لزوم طلب الدنيا والسعى للثروة قال الباقر : من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس وسعياً على اهله وتعطفاً على جاره لقي الله عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر .

وارسل الصادق الى اصحابه قائلًا : أقروا من لقيتم من اصحابكم السلام . وقولوا لهم ان فلان بن فلان يقرأكم السلام وقولوا لهم عليكم بتقوى الله وما ينال به ما عند الله اني والله ما نأمركم إلا بما نأمر به انفسنا فعليكم بالجد والاجتهاد وان صليتم الصبح فانصرفتم فبكروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال فان الله سيرزقكم ويعينكم عليه .

ان اهل البيت كانو يطلبون الرزق كما يطلب الناس ولايترفعون عن هذا الخلق . محمد بن المنكدر كان يقول : « ما كنت اظن ان علي بن الحسين يدع خلقاً افضل منه حتى رأيت ابنه محمد بن علي وكان رجلا بادنا ثقيلًا وهو متكىء على غلامين اسودين او موليين فقلت في نفسي : سبحان الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا اما اني لاعظنه فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي بنهر وهو يتصاب عرقاً فقلت اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا ، أرأيت لو جاء اجلك وانت على هذه الحال فقال : لو جاءني الموت وانا على هذه الحال جاءني وانا في طاعة من طاعة الله اكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وانما كنت اخاف لو ان جاءني الموت وانا على معصية من معاصي الله فقلت : صدقت يرحمك الله

اردت ان اعظك فوعظتني

هذه الحادثة جرت مع الأمام الباقر ، ونظيرهاجرى معالامام الصادق عليهما السلام . عبد الاعلى مولي آل سام قال : استقبلت اباعبدالله في بعض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحـر فقلت جعلت فداك حالك عند الله وقرابتك من رسول الله وانت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم فقال يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لاستغني به عن مثلك .

ان اهل البيت اول من شجع الناس عـلى الهجرة في طلب المعاش سيما اذا نبت البلاد باهلها ، وعسر طلاب العيش على الشباب الطامحين ، عند ذاك تكون مفارقة الاوطان في سبيل الاثراء طاعة محببة الى الله ، وفضيلة يزدان بها صاحبها ، ومحمدة تعلي قيمة المتصف بها ، المتحمل لمصاعبها ، المكابد لمتاعبها المتغلب على عوائقها ، المفكر في عواقبها ، الذي يغترب ويهاجر ويفارق احبائه واوطانه ليعود فيكون نجماً بين اهله يخفف عنهم ضائقة العيش ، ويعين مواطنيه بما يستطيع ويضرب لهم امثولة صالحـة بالشجاعة ، وقوة الارادة ونتائج الجهاد والمثابرة فقـد قال الصادق : أن الله يحب الاغتراب في طلب الرزق .

عن احمد بن محمد بن ابي نصر عن الرضا قال: قلت: ان الكوفة قد نبت بي والمعاش بها ضيق وانما كان معاشنا ببغداد وهذا الجبل قد فتح على الناس منه باب رزق ، فقـال : ان اردت الخروج

فاخرج فانها سنة مضطرب وليس للناس بدمن طلب معاشهم فلا تدع الطلب .

ان اهل البيت كانوا يرون العمل والمثابرة فضيلة يجب على اتباعهم والسائرين على اثارهم ان يمرنوا انفسهم على العمل لانه عبادة وطاعة .

انهم طلعوا على الناس بخلق لم ترتضه البيئات في عصورهم . فلقد كان العمل باليد حملا ثقيلاً ، وعملاً محتقراً ، تترفع الطبقات عن مزاولته ، وتنزه انفسها عن القيام ، وكان الرقيق منتشراً مالوفا يقوم بحراثة الارض ، وغرس الشجر ، واقتطاف الثمر ، وتربية الحيوان . وكان المجتمع طبقات متفاوتة : والطبقة العاملة هي احط الطبقات لخشونة ايديها وقذارة ملابسها . وجشوبة عيشها . وان اهل البيت يترفعون عن الكبرياء التي تشل العقل وتدع النفس تسعى وراء اوهام ، هي في الحقيقة امراض للمجتمع تفتك في جسمه وتنخر هيكله وتفتح منافذ للاعاصير تعصف به ، وتذهب باستقراره وتهيء الناس للثورة المزعزعة تزعزع المجتمع فتهدم الابنية وتراق الدماء وينتشر الخوف ويسرى القلق في النفوس التي توازن بين الحاظر الذي يعث الثورة وبين المستقبل الطامح الى مستوى ارفع ونظام اصلح وحياة افضل وسعادة اوفر وخير عميم وعدل شامل لجميع الناس .

فوق هذه الطبقة العاملة الطبقة المحترفة التي تزاول المهن والصناعات المحتقرة في انظار علية القوم كالحداد والنجار والقفال

والخياط والبقال وكان أهــل البيت يشجعون على العمــل وعلى الاحتراف فمن تشجيعهم على العمل ماورواه علي بن ابي حمزة عـن ابيه قال رأبت ابا الحسن يعمل في ارض له قد استنقعت قدمـاه في العرق فقلت : جعلنا فداك اين الرجال ؟ قال : يا علي قد عمل باليد من هو خـير مني ومن ابوه خير من ابي في ارضه فقلت : ومن هو فقال رسول الله وامير المؤمنين وابائي كلهم كانوا قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والصالحين »

عن ابي عمر الشيباني قال: وايت ابا عبدالله وبيده مسحاة وعليه ازار غليظ يعمل في حائط له والعرق يتصاب عن ظهره فقلت : جعلت فداك اعطني اكفك فقال لي : اني احب ان يتأذى الرجـل بحر الشمس في طلب المعيشة وكان الصادق يثني على الفلاح والزارع وكان امير المؤمنين يغرس الشجر والنوى

عن يزيد بن هارون الواسطي قال : سألت جعفر بن محمد عن الفلاحين فقال : هم الزارعون كنوز الله في ارضه وما في الاعمال شيء احب الى الله من الزراعة

كان امير المؤمنين يقول : من وجد ماء وترابا ثم افتقر فابعده الله .

الصادق قال : ان امير المؤمنين كان يخرج ومعه احمال النوى فيقال له يا ابا الحسن ما هذا معك فيقول نخل انشاء الله فيغرسه فما يغادر منه واحدة

وكان امير المؤمنين يقول ان الله يحب المحترف الامين

ان اهل البيت كانوا يعلمون اتباعهم ان طلب الرزق عبادة الله وطاعة .

عن جعفر بن محمد عن ابائه عن رسول الله قال : قال رسول الله العبادة سبعون جزءاً افضلها طلب الحلال .

عن جعفر بن محمد عن ابائه قال: قال رسول الله: من بات كالا من طلب الحلال بات مغفوراً له .

بل ان الصادق جعل المنفق من ماله على ناسك يعبد ربه اشد عبادة من ذلك الناسك روى المعلى بن خنيس عن ابيه عن الصادق قال : سأل ابو عبدالله عن رجل وانا عنده فقيل اصابته الحاجة قال : فما يصنع اليوم قيل في البيت يعبد ربه قال : فمن اين قوته . قيل من عند بعض اخوانه فقال ابو عبدالله : والله للذي يقوته اشد عبادة منه .

وكان الصادق يجعل المعرض عن ابتغاء المال فاقداً للخير عمرو بن جميع قال : سمعت ابا عبدالله يقول : لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه .

ولم يغفلوا ان يرشدوا جماعتهم الى ان الغنى وسيلة الى الطاعة اكثر من الفقر ، فالغنى بما يبذل من ماله قد يأتي بأعمال لا يحتملها طوق الفقير عن السكوني عن ابي عبد الله عن ابائه قال : قال رسول الله : نعم العون على تقوى الله الغنى . ويقول ايضاً : نعم العون على الآخرة الدنيا .

عن الباقر: نعم العون الدنيا على طلب الأخرة

وقال ابو جعفر اني اجدني امقت الرجل متعذر المكاسب فيستلقي على قفاه ويقول اللهم ارزقنى ويدعي ان ينتشر في الارض ويلتمس من فضل الله فالذرة تخرج من جحرها تلتمس رزقها

وكانت دعوتهم للتجارة متميزة في نواحي الحياة بحيث انها تزيد في العقل . وهي طاعة وجهاد وهي عز وارتفـــاع قيمة في اعين الناس

عن ابن ابي عمير الزعفراني عن ابي عبد الله الصادق قال : من طلب التجارة استغني عن الناس قلت وان كان معيلاً قال ان تسعة اعشار الرزق في التجارة

عن الفضل بن ابي قرة قـــال : سأل ابو عبد الله عن رجل وانا حاضر فقال ما حبسه عن الحج ؟ فقيل ترك التجارة وقل شيئه قال وكان متكأ ثم استوى جالسا قال: لهم لاتدعوا التجارة فتهونوا اتجروا بارك الله لكم

قال الصادق التجارة تزيد في العقل وقال ايضاً ترك التجارة يذهب العقل

قال معاذ بن كثير للصادق: اني قد ايسرت فادع التجارة فقال انك ان فعلت قل عقلك

قال الكاظم :من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله

فطلب الثروة جهاد يثاب المرء عليه ويؤجر وليس الاجر منحصراً في الاعمال العبادية المتعارفة . الخبرة دلتنا ان الحياة العملية مدرسة ، يتلقى فيها الانسان كل يوم من التجارب ما ينمي فكره ويهذب طبعه ، والتجار لكثرة ملابساتهم للناس وعلائقهم بالمجتمع تزداد تجاربهم وتتسع آفاقهم وتنمو مداركهم . فاذا قعدوا عن التجارة قل بالناس مخالطتهم وتحولت عنهم مجاري الينابيع التي كانت تمدهم ، فتضعف عقولهم وتقف تجاربهم وتخلفوا عن الركب بوقوفهم .

وهناك احاديث تعلن ان طلب الرزق يكون سبباً في غفران الذنوب عن الصادق عن ابائه عن رسول الله قال: قال رسول الله: من بات كالا من طلب الحلال بات مغفوراً له .

ايضاً الصادق عن ابائه عن رسول الله قال : قال رسول الله : العبادة سبعون جزءاً افضلها طلب الحلال .

الكسل والضجر

اذا كان العمل جهاداً ، فطبعاً يكون الكسل رذيلة ومقتاً وضعفاً وانحلالا

ان الراحة والبطالة اذا كانتا من اهداف الشعوب فلا محالة ان الشعوب تصبح فريسة ، ونهبا ، ومغنما لرجل الجد والعمل ، ولا يقف حب البطالة عند نقطة ، بل يخطوا بحامله الى الترف ، وارواء الغرائز ، واحياء الشهوات ، والاسراع الى الاثم .

ان الكسل ينشأ عن ركود النفس ، وخمود ملكاتها ، وانحلال ارادتها ، وضعف مطامحها وفتور عقليتها به فالعقلية النشيطة هي التي توحى بالمثل العليا ، والاهداف السامية . وهذا داء اذا دب في الامم ، يؤذن بافول النجم وبدء السقوط ويهيء للطغاة مجالاً رحباً ، وجواً فسيحاً يعبثون بعقلية الشعب ، ويشيعون الاسطورة والخرافة حيث العقل اصيب بالشلل ، والبصيرة اصيبت بالعمى . لهذا كان اهل البيت يحذرون من ذلك قال موسى بن جعفر لولد

له : اياك والكسل والضجر فانهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة

عن الصادق ان النبي (ص) قال لعلي : واياك وخصلتين الضجر والكسل ، فانك ان ضجرت لم تصبر على حق ، وان كسلت لم تؤد حقاً .

الانسان في المجتمع

او

الشعور بالمسئولية

لو كان الانسان يعيش وحده لما كان محتاجاً الى شيء من الأخلاق ولا الى شيء من الانظمة والقوانين والفضائل والمبادىء ، انما يحتاجها الانسان اذا كان في مجتمع ، لتنتظم علاقته مع الاخرين في تبادل المنافع ، والقيام بالحقوق والواجبات ، فلو فرض ان ناسكاً يحيا في برية فانه لا موضوع ليكون يؤدي الأمانة ، ولا يحتاج الى الصدق في اقواله واعماله ولا عنده موضوع للعدالة وهكذا سائر الفضائل .

ولا يعيش الانسان وحيداً ، لضعف قواه ، وتنوع حاجاته وتعدد مطالبه فهو محتاج الى ان يعيش في ظل اسرة تبسط عليه جناح عطفها وحنوها في طفولته ومحتاج الى قبيلة او قرية يستعين بأفرادها على ما يعجز عنه بمفرده ، وحاجاته التي يقوم بها بنفسه

الفرد تتهذب نفسه وتسمو روحانته على قدر ما ينسجم مع المجتمع ويؤمن بأنه عضو في مجتمع مترابط متماسك وان رأيت ظاهره متفككاً منحلاً .

هذه القوى ، وهذه المواهب ، منحة الله لنا , وهذه العواطف وهذه السجايا من حب للخير ومنافسة في المعروف وعطف على البائس واعانة للعاجز كلها من الله اعطيت لنا لا لنحبسها ضمن حدود نفعنا الخاص ولذتنا الخاصة ، بل بمقتضى طبعها وطبيعة مركزنا الاجتماعي ، لا بد ان تتعدى اثارها الى الغير، وتصل ثمارها الى الغير ، مهما فرضت قلب الانسان صخرة صماء ، ومهما كان الانسان حاقداً على المجتمع ثائراً على اوضاعه ، متحديا لنواحيه.

بل النفوس التي عرف عنها الحقد والحسد واللؤم مع ذلك في كثير من الاحيان فيها حب وفيها إيثار وفيها طيبة وطهارة ولا يوجد انسان يكون شراً محضاً ، بل تلتقى فيه الطهارة بالرجاسة ، والخير بالشر، واذا لم يكن حسناً معك فقد يكون حسناً لغيرك .

كما ان من الغلط ان يظن ظان ان الاخيار والصالحين يكونون خيراً محضاً ، وصلاحاً وطهارة ، بل كثيراً ما يخلعون ثوب الطهارة عن اجسامهم وينزلون الى المعترك بحماس شديد واندفاعات تفقدهم كثيراً من المزايا التي كان بها امتيازهم وكانوا بخصائصها واثارها يعرفون . وانما يتمحض الانسان في الخير بعد رياضة شاقة مضنية فابن مسكويه راض نفسه وما وثق بها إلا بعد السبعين و كتب عهده المشهور .

واهل البيت وفقاً لتعاليم الأسلام كانوا يحاولون تكوين مجتمع تنتصر فيه قوى الخير ،وتنتظم افراده روح التعاون ، بالمال والعمل والنصيحة ، ويحاولون من الناس ان يقضوا على قوى الشر ، وانتزاعها من نفوسهم ، وتطهير القلوب من قذارتها ، وسلامة النفوس من امراضها .

ان الأديان من قديم عهدها تامر بحسن المعاملة ، وجعلت هناك مقياساً شاملًا الا وهو عامل الناس بما تحب ان يعاملوك . وهذا مقياس لا يترفع عنه الخاصة، بل يتقبلونه ويعجبون به وتفهمه العامة حق الفهم ، فالفيلسوف في مكتبته ، وراعى الظأن في قطيعه يفهمه حق الفهم ، فهو يحب ان يصدق الناس معه ، ويحب ان يحفظ الناس امانته ، ويحتقر من يحتال عليه ، او يسرق شيئاً من قطيعه، ويحب ان ينصره الناس اذا عدا عليه ذئب ، او تعرض له سارق ، ويحب ان يعرف الناس له قدره ، ويرعوا عهوده ، فلذلك ينبغي ان يلزم نفسه بما يحب ان يعامله الناس .

ليس كل احد قادراً على فهم الحق والواجب ، وليس كل احد يعرف نظرية الاوساط ، وليس كل احد يعرف حدود السعادة وليس عندهم عقلية او مقدرة على فهم هذه الامور ، وليس عندهم من الوقت متسع لنكلفهم دراسة هذه الامور ولكن التعاليم الدينية توضح هذة الامور باوضح صورها وادق معانيها .

هذا العمل والمال علمنا اهل البيت ان نسهر في طلبه ونثابر ونهاجر ونتاجر لنكون في غنى عن الناس ، وفي ذلك غفران

الذنوب وطاعة الله وجهاد في سبيله فاذا تيسرت لنا اسباب الثروة واخذنا باطراف الغنى فماذا نصنع ؟

لو فتشت المجتمع الحاضر ، او رجعت في نظرك القهقرى الى ادوار التاريخ وعصوره وتتبعت سيرة الانسان – ذلك المخلوق الاجتماعي – فلا يمكن ان تجد بخيلاً حقيقياً ، وانما هي امور نسبية، وبخلى نسبي ، والبخل الحقيقي الذي هو قبض اليد عن كل انسان ما عد اسرته ، فهذا لفظ لا مصداق له في الحياة ، ولا معنى له في قاموس الحياة . نعم معناه مشروع ومفسر في قاموس اللغة .

ان الانسان مهما سيطر عليه حب المال، واستأثرت به الكزازه لا بد ان تحل عقدته مناسبات . وتستثير نخوته ملابسات ، وتحيط به ظروف وتقتضيه اوضاع ان يكون باذلاً لماله مسعفاً لمن يهيج عاطفته وينبه وجدانه ويحرك حماسته وان الحياة الواقعية التي رأيناها دلتنا في كثير من الاحيان على سخاء وبذل من اناس عرفوا بالبخل والشح ، وتحدث الناس عنهم في المحافل ، ونعتهم الشعراء بانهم لو استطاعوا لتنفسوا من منخر واحد .

في النفس اشياء تنسب الى الطبع والجبلة قبل ان تنسب الى التفكير والتدبير ، فمن كان عالماً لا بد ان يرشد جاهلاً في الناحية التي يعرفها العالم ويجهلها الجاهل . ومن كان قوياً لا بد ان يعين ضعيفاً ومن كان غنياً لا بد ان يسعف فقيراً . ولكن ترك هذه الامور الى الموافقات والمناسبات لا يظهر في المجتمع اثرها ، ولا يحسن في النفوس وقعها ولا تأتي بالنتيجة المطلوبة والنفع المأمول ،

ولو لم تخفف من شقاء الانسانية المعذبة ولم تقلل من متاعبها .

اهل البيت كان اقصى همهم في الحياة ، تعليم الجاهل وارشاد الضال وايقاظ الغافل الى السعادة ليكون المجتمع تنتظمه السعادة في سائر مرافقه لجميع افراده لا فرق يقوم على تمايز وتفاضل واستئثار .

قال الصادق : انما اعطاكم الله هذه الفضول من الاموال لتوجهوها حيث وجهها الله ولم يعطكموها لتكنزوها . فاذا كان لا بد للانسان من انفاق وبذل . اذا كان ميسوراً فافضل الناس من كان بذله في الخير الذي يعين على تخفيف ويلات المجتمع وانقاذ اكبر عدد من انياب الشقاء ومخالب البؤس، وان يكون البذل في طريق الفضيلة لا في طريق الرذيلة والنقيصة ولا في طريق يشجع الطبقة المجرمة الآثمة قال الصادق : اذا اردت ان تعرف الى خير يصير الرجل ام الى شر ؟ فانظر اين يضع معروفه ؟ فان كان يضع عند اهله فاعلم انه يصير الى خير وان كان يضع معروفه مع غير اهله فاعلم ان ليس له في الأخرة من خلاق .

من هذا الحديث نسترشد الى ان انفاق المال ينبغي ان يكون لتخفيف بؤس البائسين واصلاح الفاسد وتقويم المعوج .

يقول الصادق : اربع تذهب ضياعاً : مودة تمنح من لا وفاء له ومعروف يوضع عند من لا يشكره وعلم يعلم من لا يستمع له وسر يوضع عند من لا حصانة له .

قال علي من كان منكم له مال فأياه والفساد فان اعطاءه في

غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع ذكره في الناس ويضعه عند الله ، ولم يضع امرء ماله في غير حقه ، وعند غير اهله ، الا حرمه الله شكرهم ، وكان لغيره ودهم فان بقى معه بقية ممن يظهر الشكر له ويريد النصح ، فانما ذلك ملق وكذب ، فأن زلت به النعل ثم احتاج الى معونتهم ومكافأتهم لألئم خليل ، وشر خدين ، ولم يضع امرء ماله في غير حقه ، وعند غير اهله لم يكن له من الحظ فيما اتى إلا محمدة اللئام ، وثناء الاشرار ما دام منعماً مفضلاً، ومقال الجاهل ما اجوده، وهو عند الله بخيل فأي حظ ابور واخسر من هذا الحظ ؟ واي فائدة معروف اقل من هذا المعروف ؟ فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك به العانى والاسير ؟ وابن السبيل . فان الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا وشرف الاخرة .

وكل مسلم يعرف ان الانفاق على المشاريع العامة ، كالمساجد والمدارس ، والقناطر ، وسائر الأوقاف ، اجرها اعظم وثوابها اجزل . وهذا مصداق الحديث المعلن عن الصدقة الجارية الباقي ثوابها ما بقيت ، ينتفع الناس بها ويستفيدون منها .

محمد بن الحسين في عقاب الأعمال بسند تقدم في عيادة المريض عن النبي (ص) قال : ومن بنى على ظهر طريق مأوى عابرسبيل بعثه الله يوم القيامة على نجيب من در وجوهر ، ووجهه يضيء لأهل الجمع نوراً حتى يزاحم ابراهيم خليل الرحمن في قبته ، فيقول اهل الجمع : هذا ملك من الملائكة لم نر مثله قط ، ودخل في

شفاعته الجنة اربعون الف رجل ، ومن تشفع لاخيه شفاعة طلبها نظر الله اليه فكان حقاً على الله ان لايعذبه ابداً فان هو شفع لاخيه شفاعة من غير ان يطلبها كأن له اجر سبعين شهيداً ، ومن حفر بئراً للماء حتى استنبط مائها . فبذلها للمسلمين كان له كأجر من توضأ منها وصلى و كان له بعدد كل شعرة لمن شرب منها من انسان او بهيمة او سبع او طير عتق الف رقبة .

حقوق الوالدين

الانسان يعيش في مجتمع يمده بالماديات : من طعام ، وشراب ، ولباس ودواء ، ومسكن ، واثاث ، وزينــة ، ودين ، وعادات وتقاليد ، واول ما يلابس من المجتمع الأسرة التي يحبا بينها وينعم بظلها ويشاركها العواطف ، والمشاعر والاحــلام ، واولى ذلك الوالدان ، الوالدان هما سبب وجودنا ، ولولا الاباء والامهات لم يوجد الاولاد قال الله تعالى : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً . في الآية الاخيرة جعل الله حق الوالدين بعد حق الله ، وما ذلك الا لأيضاح معنى رفيع ، وهو بيان ان فضل الوالدين قريب الشبه بفضل الله فان الله معطي الوجود ومانحه ، والابوان وان لم يكونا مانحي الوجود ، فانهما مجرى الوجود فالله اعطى الخير ولكن المجرى الذي سار فيه الخير هما الأبوان ، فالله معطى الوجود، والأبوان مجرى الوجود وطريقه للبروز في العالم ، واكتمال نعمة الوجود .

قال الرسول (ص) : من اصبح مرضياً لأبويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة .

قال زين العابدين عن جده علي : واما حق ابيك فان تعلم انه اصلك فانك لولاه لم تكن ، فمها رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم ان اباك اصل النعمة عليك فيه .

جاء رجل الى النبي (ص) وقال يا رسول الله اوصني ، فقال : لا تشرك بالله شيئاً وان حرقت وعذبت الا وقلبك مطمئن بالايمان ووالديك فاطعهما وبرهما حيين كانا او ميتين وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل .

وحيث لقيت الام من العناء والألم اشد مما يلقاه الاب فقدم رسول الله (ص) بر الام على بر الاب فالأم تحمله جنيناً ، وترضعه طفلاً ، وتغذوه من لبنها وتسهر على تربيته ، وتعرض حياتها للخطر من اجله .

جاء رجل سأل النبي عن بر الوالدين فقال: ابرر امك ابرر امك ابرر امك ابرر اباك ابرر اباك ابرر اباك .

قال الصادق : افضل الاعمال الصلوة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله .

قال زين العابدين عن جده علي : واما حق امك ان تعلم انها حملتك حيث لا يحمل احد احدا ، واعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطى احدا احدا ، ووقتك بجميع جوارحها ، ولم تبال ان تجوع وتطعمك ، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم لأجلك ووقتك الحر والبرد لتكون لها وانك لا تطيق شكرها الا بعون الله .

رجل هاجر من اليمن الى رسول الله (ص) واراد الجهاد فقال له النبي (ص) : ارجع الى ابويك فاستأذنهما فان اذنا فجاهد وإلا فبرهما فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد .

جاء رجل اخبر الى الرسول ليجاهد معه فقــال : ألك والدة قال نعم قال : فالزمها فان الجنة تحت قدمها .

جاء رجل الى الرضا فقال : ادعو لوالدي اذا كان لا يعرفان الحق ؟ قال : ادع لهما وتصدق عنها وان كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما فان رسول الله قال : ان الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق .

غير خفى انه في عهد الرضا حينما كان في خراسان فان كثيراً من الناس يعتنقون الاسلام وابواهم غير مسلمين ، فامر بالأحسان الى الوالدين وان كانا غير مسلمين .

الاقارب

لا ينكر عاقل التجاذب النفسي بين الأهلين والأقارب ، وهي موجودة في الحيوان المنقاد بزمام الغريزة ، فان كثيراً من الحيوان الأعجم ترى بين افراد الاسرة الواحدة تجاذباً وتعاطفا فالأنسان ذو العاطفة المهذبة ، والملكات التي تعلو به على الحيوان درجات لا بد ان تكون فيه امتن وثاقة ، واشد ارتباطاً ، والانسان لداعيتها اشد استجابة ، واكثر ميلا واصغاء ولو طوينا كشحا عن العاطفة ، لوجدنا العقل والضمير يدعوا لها ويحرض عليها ، بالوان من الدعونت ، واساليب من المحسنات ، حيث الانسان يجد شركائه في العرق والنسب يشاركونه مكاره الحياة ويعينونه على متاعبها ويشاركهم المفاخر والمكارم .

يقول امير المؤمنين : واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير ، واصلك الذي اليه تصير ، ويدك التي بها تصول .

ويقول على من خطبة : ايها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم وهم اعظم الناس حيطة من ورائه والمهم لشعثه واعطفهم عليه عند نازلة اذا نزلت به

ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره إلا لا يعدلن احدكم عن القرابة ، يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه ، ولا ينقصه ان اهلكه ، ومن يقبض يده عن عشيرته ، فانما تقبض عنهم يداً واحدة ، وتقبض منهم عنه ايد كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة .

قال رسول الله : اوصى الشاهد من امتي والغائب ومن في اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيامة ان يصل الرحم ، وان كان منه على مسيرة سنة فان ذلك من الدين .

وقال الرسول ص : من سره النسأة في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه .

قال الباقر : الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني . قال النراقي : هذا تمثيل . للمعقول بالمحسوس واثبات لحق الرحم على ابلغ وجه ، وتعلقها بالعرش كناية عن مطالبة حقها بمشهد من الله .

قال الصادق : صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا ارحامكم ، وبروا اخوانكم ، بحسن السلام ورد الجواب .

معاملة الرحم ينبغي ان يتسع افقها ، فلا تقف عند الاحسان والمعونة ، بل يلزم على الانسان ان يعرف ان من يشاركه في دمه ، وفي جدوده وسلسلة نسبه له الحق ان تلقاه بثغر باسم ووجه متهلل واسارير مشرقة يقرأ الناظر فيها من الارتياح للقائه والابتهاج به

ايات واضحات ، ودلائل ناطقات ، ليزول ما بنفسه من كدورة وانقباض ، وينقشع ما على محياه ، من سحاب الامتعاض وينبغي ان يجعل بينهما الحب نوراً من غير حرارة ، وزهراً من دون شوك ، فلا يبدو تكلف ، ولا يظهر تصنع ، ولا يفارق الاخلاص والشعور الصادق هذه المواقف التي يكون الواجب فيها اظهر سلطانا واقوى مركزاً واكثر تصرفاً .

قال الصادق: ما نعلم شيئا يزيد في العمر الا صلة الرحم حتى ان الرجل يكون اجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم فيزيد الله في عمره ثلثين سنة ، فيجعلها ثلاثا وثلاثين سنة ، ويكون اجله ثلاثا وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم فينقصه الله ثلاثين سنة ويجعل اجله الى ثلاث سنين .

هذا الحديث يعطينا ان اهل البيت يقولون ان الصلة الرحم تزيد العمر وقطعها ينقصها . لا ريب ان قطيعة الرحم تبعث على القلق ، وهياج الأعصاب والشعور ، من جراء توبيخ الضمير على الفعل السيء الذي يقدم عليه المرء مواجهاً به ارحامه ، ويلازمه توبيخ الضمير الى الحد الذي يقضى عليه ، كما ان صلة الرحم تبعث على قوة الشعور براحة الضمير من القيام بالواجب ، فيتغلب الانسان على الامراض وعلى اسبابها فيزيد عمره ، وهذا يعطينا ان هناك اجلاً مخروماً كان ينبغي ان ينقص فزاد ، او ينبغي ان يزيد فينقص . والطب والفلسفة يقرران : ان الاجل منه مخروم ومنه محتوم .

عقوق الوالدين وقطع الرحم :

ان عقوق الوالدين ادل دليل على ان مرتكبها مغرق في الوحشية . بعيد عن السمو النفسي والتهذيب الخلقي ، حيث ان الجميل لا ينمو في نفسه ، والابتداء بالمعروف لا يقدره حق قدره ، ولا يشعر بان الاحسان جدير بان يشكر والأيادي البيضاء جديرة ، بان يعوض عليها اياد بيضاء امثالها اضعافاً مضاعفة :

ان ابائنا سبب وجودنا ، فلولا وجودهم لمن نكن شيئاً مذكوراً ، ولا عرفنا نعمة الوجود الحافلة بالخيرات الحسان ، والطيبات التي نلناها ، والمراكز التي بلغناها والنعم التي ورثناها . فالوالدان كثيراً ما بذلوا الجهد في دفع الخطر عنا وسهروا على راحتنا ؛ وقدموا لنا من الرغائب والطلبات ما لا يبلغه طوقنا ، واحتملوا من المتاعب والتضحيات ما لا يقع عليه تصورنا ، ولا يحيط به خيالنا ، فعقوق الوالدين لا يقع الا من نفس حافلة بالرذيلة ممعنة في الجفاء والخشونة ، منغمسة في حمأة الدنس ، لا يرجى لها فلاح ، ولا يؤمل منها صلاح ، ولا تفلح عن عماية ولا تكف عن نقيصة ، لو كان لها في الخير والهداية نصيب لعرفت الجميل لمن

يستحقه ، والفضل لمن يسديه ، والشكر للذي افاض النعمة قبل ان نستحقها ، وغمر بالمعروف لا يبتغي عـلى ذلك جزاء ، وضحى في سبيل ولده ، ولا يعرف مصيره الى اين ينتهي ، قال الله تعـالى : وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً امـا يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً .

قال الصادق : لو علم الله شيئاً هو ادنى من اف لنهى عنـه ، وهذا موضع مفهوم الموافقة والأولوية يعني اذا كانت لفظة اف محرمة ومنهياً عنها فالضرب بطريق اولى يكون محرماً منهياً عنه .

قال رسول الله (ص) : كن باراً واقتصر على الجنة ، وان كنت عاقاً فظاً فاقتصر على النار .

قال الصادق : من نظر الى ابويه نظر ماقت ، وهما ظالمـان له لم يقبل الله له صلوة .

روى في بعض الأحاديث القدسية : ان اول ما كتب الله في اللوح المحفوظ اني انا الله لا اله إلا انا من رضى عنـه والده فانا عنه راض ومن سخط عليه والده فانا عليه ساخط .

هذه بعض اثار عقوق الوالدين ، وهاك بعض اثار قطيعة الرحم

لا ريب ان الارحام كلما تقـاربوا يقع بينهم من دواعي الشقاق اشياء كثيرة : من منافسة على مرتبة ، او مشاركة في ميراث ، او شقاق بين النساء ، فيطير من ذلـك شرر محرق اذا

صادف هشيما من قلوب خاوية ، وعقول ناقصة ، وطباع حادة ، واخلاق منحطة ، ولكن ينبغي في هذه المواقف ان يراجع الانسان عقله ، ويرعوى ان يصيخ سمعه الى توافه الأمور ، ومحقرات الأعمال ويوازن ، ويستصوب ، ويتأكد ، ويتثبت ان تطيح بحلمه عاطفة او تستخفه نزوة او تهيج حميته كلمة ، فيرتكب من قطع الرحم ما يترفع عنه الشريف ، ويتصون عنه الكريم .

قال رسول الله : ابغض الاعمال الى الله الشرك بالله ، ثم قطيعة الرحم ، ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف .

قال رسول الله : حافتا الصراط يوم القيامة : الرحم والأمانة فاذا مر الوصول للرحم . المؤدي للامانة نفذ الى الجنة ، واذا مر الخائن للامانة القطوع للرحم لم ينفعها معه عمل وانكفأ به الصراط الى النار .

قال الباقر : في كتاب على ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهن : البغي ، وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها وان اعجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم ، وان القوم ليكونون فجاراً ، فيتواصلون فتنمو اموالهم ، ويثرون ، وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من اهلها وتنقل الرحم ، وان نقل الرحم انقطاع النسل .

التعاون بين المسلمين

من الصعب جداً على معظم الناس ان تكلفهم مزاولة الفضائل ، والتحلي بها ، والسير في حياتنا وعلاقتنا تحت اشرافها ورعايتها ، ان فهم الفضيلة حق الفهم ، ومعرفة حدودها حق المعرفة ، والانقياد لها في المواقف الزلقة ، حيث تتوفر المغريات ، وتتعارض المنافع ، وتنشط دواعي الجريمة والسوء ، شيء صعب وتكليف للناس بما لا يطيقون ، وانما غاية ما تؤثر الفضيلة في فئة قليلة من الناس ، تمارس الفضائل وتتلقن المبادىء وتؤخذ أنفسها برياضة شاقة حقبة من الزمن ، لتكون لها ممارسة الفضيلة عادة مألوفة ، وعملا بينها وبينه نسب وصلة من الممارسة والتمرين ، ولا بد ان تكون تلك النفوس كما قال ارسطو : قلوبها شريفة بالفطرة اصدقاء للفضيلة اوفياء بعهدها

هؤلاء الناس قليلون جداً في خضم الحياة الزاخر بالشهوات والاندفاعات والمنافع والأغراض اذن نستطيع ان نوفر على الناس الجهود ، ونقدم لهم من كتاب الله وسنة رسوله ، وحديث أهل البيت ، ما يكون زاداً لكل راغب ، وعدة لكل خائض معترك الحياة ، عدة وافية تقيه الغرق في تياراتها العنيفة ، وتقيه الزلق اذا

مشى علـى مزالقها التي تزل فيها الاقدام ، وتتهاوى الرجـال صرعى ، او غرقى او ملوثة .

الانسان بما انه اجتماعي لا بد لهمن تعاون قهري ليس له فيـه اختيار ، بل هو ملزم ان يبادل المنافع ليستطيع ان يحيـا بين الناس وهناك التعاون الاختياري وهذا هو فضيلة لها أثرهـا الحميد وعطرها الذائع وشرفها المرموق بين الناس .

قال الله تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول اللهص الخلق عيال الله واحب الخلق الى الله من نفع عيال الله وادخل على اهل بيت الله سروراً وقال رسول الله (ص) : خصلتان من الخير ليس فوقهما شيء من البر : الايمان بالله . والنفع لعباد الله .وسئل رسول الله : من احب الناس لله ؟ قال انفع الناس للناس .

وقال الصادق في تفسير وجعلني مبـاركا اينما كنت : جعلني نفاعـا .

قال الصادق : من كان وصولاً لاخوانه بشفاعة في دفـع مغرم او جر مغنم ثبت الله قدميه يوم تزل فيه الاقدام .

قال زين العابدين : من قضي لاخيه حاجة فبحاجة الله بدأ ، وقضى الله له بها مائة حاجة ، احديهن الجنة ، ومن نفس عن اخيـه كربة نفس الله عنه كرب الدنيا و كرب القيامة بالغاً مـا بلغت ومن سعى له في حاجته حتي قضاها فيسر بقضائها كان ادخال السرور على رسول الله الى ان يقول في آخر الحديث والله لقضاء حاجتـه

احب الى الله من صيام شهرين متتابعين واعتكافهما في المسجد الحرام .

قال الصادق : قال رسول الله (ص) : الخلق كلهم عيال الله فاحبهم الى الله انفعهم لعياله .

قال ابو الحسن : ان لله عباداً في الارض ، يسعون في حوائج الناس هم الأمنون يوم القيامة ، ومن ادخل على مؤمن سروراً فرح الله قلبه يوم القيامه .

قال الصادق : تنافسوا في المعروف لاخوانكم ، و كونوا من اهله ، فان للجنة بابا يقال له المعروف في الحياة الدنيا ، فان العبد ليمشي في حاجة اخيه المؤمن ، فيوكل الله به ملكين ، واحد عن عينه ، وآخر عن شماله يستغفران له ربه ويدعو ان بقضاء حاجته ، ثم قال والله لرسول الله اسر بقضاء حاجة المؤمن اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة .

وقال الصادق : من مشى في حاجة اخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى يقضي له ، كتب الله له بذلك مثل اجر حجة وعمرة مبرورتين ، وصوم شهرين من اشهر الحرم ، واعتكافها في المسجد الحرام ، ومن مشى فيها بنية ولم يقض كتب الله له بذلك مثلى حجة مبرورة ما رغبوا في الخير .

حدث صفوان الجمال قال : كنت جالساً مع ابي عبد الله اذ دخل عليه رجل من اهل مكة يقال له ميمون فشكى اليه تعذر الكراء عليه فقال لي : قم فاعن اخاك فقمت معه ، فيسر الله

كراه ، فرجعت الى مجلسي فقال ابو عبد الله : ما صنعت في حاجة اخيك ؟ فقلت : قضاها الله فقال : اما انك ان تعين اخاك المسلم احب الي من طواف اسبوع بالبيت مبتدئاً ، ثم قال ان رجلا اتى الحسن بن علي فقال بأبي انت وامي اعني على قضاء حاجة فانتعل وقام معه ، فمر على الحسين وهو قائم يصلي فقال : اين كنت عن ابي عبد الله ؟ قال قد فعلت فذكر انه معتكف فقال : اما انه لو اعانك كان خيرا له من اعتكافه شهرا .

هذه الاحاديث تعطينا ان الأديان غرضها سعادة المجتمع ، والتعاون على متاعب الحياة ، وهي ارفع قدرا من الامور العبادية ، حيث ان العبادة نفعها شخصي وهذه الاعمال تعم المجتمع.

وهذه الاحاديث تدلنا على التعاون الاختياري سواء كان الباعث قوياً على التعاون ام كان ضعيفاً ؟ فالمعين على قضاء حوائج الناس له عند الله منزلة رفيعة وان لم تكن الحاجة شديدة الى المعاونة فاذا كان الانسان في ضيق من الأمر ، قد احاطت به مفاجئة الحوادث بما يكر به ويضيق الخناق عليه، عند ذاك تكون المعاونة الزم .

قال الصادق : ايما مؤمن نفس عن مؤمن كربة ، وهو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والاخرة ، ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والأخرة قال : والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون اخيه ، فانتفعوا بالعظة ، وارغبوا في الخير .

قال الصادق . من اغاث اخاه اللهفان عند جهده، فنفس كربته واعانه على نجاح حاجته كتب الله له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله يعجل له بعنها واحدة يصلح بها امر معيشتـه ، ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة وأهواله .

قال الصادق : قال رسول الله (ص) . من اكرم اخـاه بكلمة يلطفه بها ، وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه من الرحمة .

ولو فرضنا ان رجلاً استعان بآخر على دفع مظلمة ، اوقضاء حاجة ، او كشف غمة او ازاحة مصيبة وهو قادر على ان يقوم بحقه ولم ينقذه مما هو فيه ، فقد تعرض لمقت الله روى علي بن جعفر عن ابي الحسن قال . سمعته يقول: من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض احواله فلم يجره بعد ان يقدر عليه فقد قطع ولاية الله .

معنى قطع ولاية الله ان المسلم بمقتضى اسلامه فقد التزم ان كل مسلم هو اخ له يشاركه شعوره ويشاطره همومه ، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه فاذا لم يقم بالواجب الذي يدعو اليه الاسلام فقـد قطع ولاية الله ، ولم يكن متحلياً بالصفات الاسلامية التي ينبغي ان يكون عليها ، وهذا هو بلائنا الذي نكابده ونعانيه ، فلو ان المسلمين يحملون هذه المزايا ، لم نبلغ هذا الوهن ، وهذا التفكك ، ولم تصبح اوطاننا مسرحاً ومرتعاً لقوم آخرين وسياستنا وادارتنا بتوجيهات اعدائنا وصح قول القائل .

ولنحن اعلم من هم ولمن هم ولمن تمثل هــذه الادوار
ومن المصرف من فضول عنانهم ولمن يعود الورد والاصدار

عن سماعة قال : سألت ابا عبد الله قلت قوم عندهم فضول ، وباخوانهم حاجة وليس يسعهم الزكاة ، ايسعهم ان يشبعوا ويجوع اخوانهم فان الزمان شديد فقال : المسلم اخو المسلم لا يظلمـه ولا يخذله ولا يحرمه فيحق على المسلمين الاجتهاد فيه ، والتواصـــل ، والتعاون عليه ، والمواساة لأهل الحاجة والعطف منكم، تكونون على ما امر الله فيهم رحماء بينكم متراحمين .

قال علي بن الحسين : اني لاستحي من ربي ان ارى الاخ من اخواني فاسال الله الجنة وابخل عليه بالدينار والدرهم ، فاذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة لك لكنت بها ابخل .

هذا الحديث يدلنا ان الانسان محتاج الى اخيه في دار الدنيــا ان التعاون ينبغي اولاً بالذات على احوال الدنيا وهمومها والامر في الآخرة الى الرحمن الرحيم .

قال الصادق : لم يدع رجل معونة اخيه المسلم حتى يسعى فيها ويواسيه ، الا ابتلى بمعونة من يأثم به ولا يؤجر .

ودلتنا التجارب ان كثيرين يحبسون معونتهم عن المشاريع الأسلامية ، وعن المسلمين المخلصين ، ولكنهم يبادرون الى تكريم الراقصين والراقصات ومعونة اهل الشر ، والظالمين الذين يحملون من الاسلام صورة مشوهة برذائل نفوسهم ، وتهــافت طبائعهم ، وانحلال اخلاقهم ، وضعف بصائرهم ، فيكسبون اثمــاً ويحملون وزرا ويشجعون الفساد .

واذا كان من حق المسلم ان تعينه لأنه اخوك في المعتقد والفكرة والخلق والامثلة العليا فمن حقه ان تبذل له نصحك وتمنحه اخلاصك وتفكر في انقاذه من ورطته ، وتفكر ان لا تزل به القدم ولا يؤخذ على غرة ، فتذكره بما يصلح شأنه ، وينفي المخاوف التي تعلمها انت ويجهلها هو ، وتدله على الطريق الذي يأمن به العثار ، ويبتعد عن مسببات الكدر ، فانت مسئول عن الشوكة تدميه والعقوب تلسعه ، والضرر يحيق به ، اذا كنت على سابق علم ، او عندك في حوادث الأمور المباغتة اختبار ودراية . فمن الواجبات الأجتماعية ان تنصحه وتوضح له ما خفي عنه ، ليتقي المتاعب ويتجنب المخاوف ويبتعد عن الخطر قال رسول الله (ص) : الدين النصيحة قيل . لمن يا رسول الله . قال : لله ولرسوله ولائمة الدين ولجماعة المسلمين .

عن ابي عبدالله قال . قال رسول الله (ص) .

ان اعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة امشاهم في ارضه بالنصيحة لخلقه .

قال الصادق . يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب .

عن سفيان بن عيينه قال . سمعت ابا عبدالله يقول . عليكم بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل افضل منه .

واذ فرض ان رجلاً عرف وجوه الصواب ، وسبل السداد في مشاكل يتعرض لها الناس ، ولم يعلن نصيحته ولم يوقف اخاه

على الرأي في الامر ينبغي ان يكون خائناً للفكرة الاسلامية التي يحملها ومتهاوناً في الحقوق التي فرضها الاسلام على المؤمنين من التعاون والتناصر والتناصح ، وعد تهاونه مثلبة ومنقصة يذم عليها ويتحمل تبعاتها وتلصق به شناعتها .

قال الصادق : اخبرني ابي عن ابائه عن علي بن ابي طالب عن رسول الله (ص) انه قال . من استشاره اخوه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبه .

قال الصادق : ايما مؤمن مشى في حاجة اخيه ولم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه . سماعة قال سمعت ابا عبدالله يقول . ايما مؤمن مشى مع اخيه المؤمن فلم يناصحه فقد خان الله ورسوله .

يقول الصادق : ايما رجل من اصحابنا استعان به رجل من اخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

واذا كانت النصيحة امراً لازماً فالمشاورة ينبغي ان تكون من الاخلاق التي يدعو اليها الاسلام . ويرغب فيها اهل البيت اتباعهم ومحبيهم وعامة المسلمين . فالمسلمون جميعاً يحبون اهل البيت ويقدسونهم .

ان الحياة تقضي على الناس بالمشاورة . لأن الفرد الواحد ينظر الى الدنيا بعينين والمستشير ينظر اليها بعيون كثيرة فاذا خفى عليه جانب من جوانبها وضح ذلك الجانب للمستشار ، على ان

الانسان لا يخلو احياناً من ارتباك فكر واضطراب نفس ، وقلق خاطر ، وتفاجئه احياناً حوادث وهو في هم يزعجه ، والم يمضه ، وشغل يأخذ من انتباهه وشعوره .

ومن المعروف عند الشعوب عامة ان الاستبداد في الرأي والتدبير باب للخطأ وعرضة للغلط ، ومظنة التقصير ، لأن العقول لا تحيط بكل شيء ، ولا تضمن النجاح في كل تفكر ، ولذلك اخذت الشعوب بالشورى في الرأي بالسياسة ، وكان لها مجالس لمبادلة الاراء ومناقشة الاقتراحات .

لهذا النقص الواضح في الاستبداد كان الاسلام يدعو الى الشورى وكان اهل البيت يدعون الى المشاورة ومبادلة الرأي . ولكن المشارة لا ينبغي ان تكون مجازفة تطلع كل انسان على سرك ، وتكشف مضمراتك لكل احد، على ان المشاورة لا ينبغي ان تطلبها ممن ليس هو اهل لها ، وليس له مواهب ولا ملكات ترشحه لان يكون مستشاراً مؤتمناً .

قال الصادق : ان المشورة لا تكون الا بحدودها ، فمن عرفها بحدودها والا كانت مضرتها على المستشير اكثر من منفعتها له . فاولها ان يكون الذي تشاوره عاقلاً . والثانية ان يكون حراً متديناً . والثالثة صديقاً مؤاخياً . والرابعة ان تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك ثم يسر ذلك ويكتمه . فانه اذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته وان كان حرا متديناً اجهد نفسه في النصيحة لك، واذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرك اذا اطلعته عليه واذا

اطلعته على سرك فكان علمه بـــه كعلمك به تمت المشورة وكملت النصيحة . فاذا تكاملت هذه الأوصاف ، واجتمعت هذه الشروط فالاستشارة لا معدى عنها للعاقل ولا معرة فيها لمن يحاول نجــاح الامور والظفر بالفوز .

قال الصادق : ما يمنع احدكم اذا ورد عليه ما لا قبل له به ان يستشير رجلًا عاقلًا له دين وورع اما انه ان فعل ذلك لم يخذله الله بل يرفعه الله ورماه بخير الامور واقربها الى الله .

قال الصادق : قال رسول الله : مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله فاذا اشار عليك الناصح العاقل فاياك والخلاف فان في ذلك العطب .

عن الصادق : فيما اوصى به رسول الله (ص) علياً قال : لا مظاهرة اوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير .

قال علي : من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها .

قال الصادق : استشر العاقل من الرجال الورع فانه لا يأمر الا بخير ، واياك والخلاف فان مخالفة الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا .

قال علي : خاطر بنفسه من استغنى برأيه .

قال الصادق : من لم يكن له واعظ من قلبـــه ، وزاجر من نفسه ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوه من عنقه .

الاخوة الاسلامية

نقل (كنت) عن ارسطو انه قال : يا اصدقائي الاعزاء ليس في الدنيا اصدقاء . وناقشها النقـاد قائلين ان كنت لم يفهم كلمة ارسطو ، ولكن ارسطو في كتابه الكبير يقول لا يمكن ان يكون للانسان اكثر من صديق واحد .

ان موضوع الصداقة فكر فيه الانسان منذ وجد اجتماعياً ولا يمكن ان يكون انسان غير اجتماعي الا اذا كان شاذاً ، او معتوهاً او مجرماً . وكان التفكير في الصداقة امراً مستطاباً مرغوباً فيـه جذاباً ، كما ان الانسان عملياً يشعر في قرارة نفسه انه محتـاج الى اصدقاء تربطه بهم روابط وثيقـة من تقارب طبـاع ، وتناسب اخلاق ، واتفاق مشارب ووحدة مبادىء .

فكر المفكرون قديماً ، كما فكر المفكرون حديثاً ، ولا يزالون يفكرون في اجتذاب الاحباء واكتساب الاصدقاء ونوعوا صداقة الناس الى انواع ثلاثة : صداقـة المنفعة . صداقـة اللذة . صداقـة الفضيلة .

هذه نظرة الفلاسفة قد بدا قصورها ، وانهم حاموا حول غرض

ولكن لم يصلوا اليه ، وفتشوا عن كنز حافل بالذخائر ولكنهم لم يبلغوه ، والدين الاسلامي بمبادئه ، ورجال الاسلام باعمالهم اثبتوا للناس ان المجتمع صالح جدا ان تكون بين افراده اخوة متينة ، وصداقة ثابتة ، لا تخشى عليها من رياح الشهوات ان تعصف بها ، ولا من ثوران الفتن ان تبدد شملها .

عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده علي بن ابي طالب قال : سمعت رسول الله يقول : المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم وخير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف .

قال الصادق : وطن نفسك على حسن الصحابة لمن صحبت في حسن خلقك ، وكف لسانك ، واكظم غيظك ، واقل لغوك وتفرش عفوك وتسخو نفسك .

قال الربيع الشامي : دخلت على ابي عبدالله والبيت غاص بأهله الى ان قال : يا شيعة آل محمد اعلموا انه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ، ومن لم يحسن صحبة من صحبه ، ومخالفة من خالفه ، ومرافقة من رافقه ، ومجاورة من جاوره ، وممالحة من مالحه .

قال علي (ع) : ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس ، والاستغناء عنهم ، يكون الافتقار اليهم في لين كلامك ، وحسن سيرتك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك .

نجد اهل البيت اتباعاً لجدهم الرسول (ص) يريدون ان يكون

المسلمون جميعاً اسرة واحدة يشملهم شعور واحد، وتنتظمهم عقيدة واحدة ، بأن يراعى كل انسان عواطف الآخرين ويتنازل عن كثير من عواطفه ، اذا كانت تسبب تباعداً في القلوب وتبايناً في الحياة العملية وذلك بأن يملك الانسان زمام اهوائه واندفاعاته في سبيل المحافظة على سلامة القلوب وصفاء المودة ، ووثاقة الاخوة بل كانوا يطلبون من احبائهم واتباعهم ان يغرسوا لهم المحبة في القلوب ويجعلوا بينهم وبين الناس صداقة راسخة البنيان قوية الدعائم .

قال كثير بن علقمة قلت لابي عبدالله الصادق : اوصني فقال اوصيك بتقوى الله والورع ، والعبادة وطول السجود ، واداء الامانة ، وصدق الحديث ، وحسن الجوار ، فبهذا جاءنا محمد (ص) صلوا في عشائركم ،وعودوا مرضاكم واشهدوا جنائزكم، وكونوا لنا زينا ، ولا تكونوا علينا شيناً . حببونا الى الناس ، ولا تبغضونا اليهم . فجروا الينا كل مودة ، وادفعوا عنا كل شر .

ان اهل البيت يبذلون جهدهم في حمل الناس ، على الحب والصداقة ، حيث ان غرض الاسلام وهدفه توثيق الصلة والمحبة والصداقة بين المسلمين وكانوا يعلمون الناس حقوق الصداقة وواجباتها واعبائها التي ينبغي ان يبادر اليها كل انسان نحو صديقه .

قال الصادق : لا تكون الصداقة الا بحدودها ، فمن كانت فيه هذه الحدود او شيء منها ، فانسبه الى الصداقة ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه الى الصداقة : فأولها ان تكون سريرته

وعلانيته لك واحدة . والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه والثالثة ان لا يغيره عليك ولاية ولا مال . والرابعة ان لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته . والخامسة وهي تجمع هذه الخصال ان لا يسلمك عند النكبات .

فاذا كانت هذه هي واجبات الصداقة ، فكل مسلم لكل مسلم اخ وصديق ، وينبغي ان يعرف كل مسلم انه اخ عليه واجبات تجاه الأخوة الاسلامية التي هي اهم مقاصد الدين .

قال الصادق: المؤمن اخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه .

قال الصادق ايضاً : المسلم اخ المسلم هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه .

سأل المعلى بن خنيس الصادق عن حقوق الاخوة الاسلامية التي تفرضها المبادىء الاسلامية على معتنقيها .

قال المعلى له ما حق المسلم على المسلم : قال له : سبع حقوق واجبات ما منهن حق الا وهو عليه واجب ان ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ، ولم يكن لله فيه نصيب ، قلت له : جعلت فداك وما هي ؟ قال : يا معلى اني عليك شفيق اخاف ان تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل قلت لا قوة الا بالله قال: ايسر حق منها ان تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك. والحق الثاني ان تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع امره. والحق الثالث ان تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك . والحق الرابع

ان تكون عينه ودليله ومرآته. والحق الخامس ان لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى . الحق السادس ان يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب ان تبعث خادمك فتغسل ثيابه وتصنع طعامه وتمهد فراشه . والحق السابع ان تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته واذا علمت ان له حاجة تبادر الى قضائها ، ولا تلجئه الى ان يسألكها ولكن تبادره مبادرة فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك.

حينما كان المسلمون ينعمون بهذه الروح العالية كانوا كالجسم الواحد ، يتشاركون في واجبات الحياة وينهظون بتكاليفها من ايسر تكليف الى اصعب تكليف ، ويحملون روح التضحية في سبيل المجموع ، ومحافظة على الأصول والكيوف الاسلامية التي صيغت على وفقها نفوسهم ، وانطبعت اخلاقهم ، واتحدت مشاعرهم ، ونمت احاسيسهم ، فلا يعرفون ضائقة نزلت بغير المجموع ولا عناء اصاب غير المجموع ، ولا شقاء حاق بغير المجموع ، عند ذاك كانوا قوة يرهب جانبها ، ودولة يخشى باسها ، وامة ترعى حقوقها ، وكانت تفرض ارادتها ، ولا تتراجع عن تصميمها، وكان افقر رجل واضعف انسان في المسلمين يشعر بانه مطالب بالتكاليف التي يبلغها اقتداره ، كما يطالب الخليفة بتكاليفه وواجباته حسب مركزه ومكانته ، فيسير المسلم بوحي ضميره وارشاد دينه ومعتقده ، الى واجبه مرتاح الخاطر رابط الجاش مطمئن النفس بحريته واختياره من دون قسر قاسر والزام مسيطر لا فرق بين شاب وطاعن في السن وبين غني وفقير .

كيف نكسب الاصدقاء

في كل نفس حلم جميل ساحر ، وامنية ملازمة مغرية ، في نفس كل انسان يذهب ويجيء ويروح ويغدو ، رغبة صادقة ان يكون محبوباً الى كل انسان مكرماً في كل مكان ينزل به ، مثنياً عليه في المحافل والاندية ، بل كثيراً ما يلقى اناساً يهوى ان يكون بينه وبينهم قديم ود وسابق عهد ، ليجاذبهم الحديث ويربح مجالستهم ويغنم شرف صحبتهم واعرب المتنبي عن هذا بقوله :

وكاد سروري لا يفي بندامتي　　على تركه في عمري المتقادم

ان صحبة النــاس وأخوتهم ليست بالشيء الذي يترك الى القضاء والقدر ، وليس القانع بصحبة النزر اليسير من الناس بعيد الهمة كبير القلب طامح النفس فسيح الأمل ، انمــا ارحب الناس صدرا واوسعهم افقا من كان له في كل ارض منازل ، وفي كل قبيلة احباب ، وفي كل مجتمع معارف يسرون بقربه ويبتهجون لمنظره

هب ان الصداقة التي تكون الحد الأعلى من المحبة والأيثار امر مستصعب ، وطمح اليه الفلاسفة فلم يبلغوه وفتشوا عنه فلم يجدوه ،

وحاولوا خلقه وابداعه فوقفوا حسرى عاجزين، لأن للحياة فروضاً واحكاماً فوق احلام الفلاسفة واخيلة المثاليين ، ولكننا نجد بين الحد الاعلى للصداقة وبين الحد الادنى مراتب كثيرة نستطيع ان نصل اليها بقليل من الجهد ويسير من العناية ، ولا زالت الحياة ترضينا باقل قليل مما نطلب وايسر امر مما نرغب ، ومتى حققت لنا الايام اهدافنا ، وبلغتنا رغائبنا وكنا لصنيع الايام شاكرين .

نحن نريد اصدقاء ، ونريد اخواناً ، ونريد احباباً ولا نصل الى الى ما نريد الا بالعمل والسعي لاكتساب الاصدقاء وقد علمنا الاسلام واهل البيت عن جدهم كيف نعامل الناس لنربح عطفهم ونكسب صداقتهم وننعم بمودتهم .

قال الصادق : قال رسول الله : يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس باموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر .

لا ريب ان من تلقاه بوجه مشرق ، واسارير مستنيرة وثغر باسم طبعاً تنعكس ملامحك في وجهه ويشرق سرورك على نفسه فيرتد اليك النور قوياً مضاعفاً ، وما اكثر ما كانت ابتسامة صادقة مفتاحاً لحل مشكل ، وسداً لباب فتنة ، واطفاء لنار مضرمة .

قال موسى الكاظم : قال رسول الله : حسن البشر يذهب بالسخيمة (١) .

---

(١) الحقد

روى عن اهل البيت: صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة ويدخلان الجنة والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار .

قال الباقر : اتى رجل رسول الله فقال يا رسول الله اوصني فكان فيما اوصاه : ان الق اخاك بوجه منبسط .

فاذا لقى الانسان اخاه في الاسلام او اخاه في الانسانية بوجه طلق وثغر مشرق فلا بد ان يجذب قلبه اليه ويثني عنان التفاته وانتباهه نحوه ، فاذا جذب انتباهه فلا بد ان يكون متهيأ القلب لخلق الفة ومحبة بينه وبينه ومستعداً لان ينفذ الى قلبه بالوسائل الممكنة ، واهم الوسائل بعد انبساط الوجه وابتسامة الثغر ان يكون رفيقاً بصاحبه يعتمد اللين والسهولة ، ويجتنب القسوة والخشونة ويبتعد عن العنف والشدة ، ويسلك معه الايناس واللطف والمداراة والتجمل فيجتنب الصراحة ان كانت مؤلمة ، ويترك الحقيقة ان كانت منفرة ، ويبذل الجهد في الاسباب التي تقربه منه وتدنيه اليه .

قال رسول الله (ص) : ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه .

وقال رسول الله (ص) : ان الله رفيق يحب الرفيق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف .

وقال رسول الله (ص) : لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان فيما خلق الله شيء احسن منه .

من هذا القسم من الاحاديث نستفيد ان الرفق من اخلاق الله فهو ينزل النعمة ويرسل الرحمة على العصاة كما يرسلها على غيرهم ويتحبب الى الخلق باللطف والمعروف ويعدهم الدرجات الرفيعة، اذا امنوا به ويتجنب معهم النقمة والنكال ، واذا كان الرفق من اخلاقه ، فهو يحب كل من يتحلى بصفة الرفق ، ويثيب المتحبب الى الناس الرفيق بهم ثوابا عظيما جداً . ثم جعل الرسول (ص) الرفق جمالا لكل شيء ، والعنف والثورة والقسوة طبعاً تكون في كل شيء نقصاً وضعة ، والرفق يكون في كل حركة سواء اكانت حركة نمو وبالهوينى فانها جمال ام حركة انتقال كهبوب النسيم الرقيق فانه جمال ولذة على العكس من ثوران العاصفة فانها رعب وخوف وضرر وهكذا الرفق جمال ومتعة .

بل اوضح الرسول (ص) مكانة الرفق بان استعمل التجسيم بحيث لو كان الرفق من الكائنات المحسوسة بالبصر والسمع لكان الرفق اجمل كائن طبيعي مخلوق .

قال رسول الله (ص) : ما اصطحب اثنان الا كان اعظمها اجرا واحبها الى الله ارفقهما بصاحبه .

قال رسول الله الرفق يمن والخرق شؤم ونظم الشاعر هذا المعنى .

فان ترفقي يا هند فالرفق ايمن

وان تخرقي فالخرق اشام

في تأثير الرفق واللين وعلوه على العنف والشدة ذكر كارنيجي في كتابه كيف (تكسب الاصدقاء) اسطورة الشمس والرياح :

اختلفت الشمس والرياح ؛ هذه تقول انها اقوى وافعل واشد بأسا ، وتلك تزعم هذه الصفات لنفسها دون الاخرى قالت الرياح للشمس : اترين هذا العجوز المتدثر بمعطفه ؟ اتحداك ان تجعليه يخلع معطفه باسرع مما استطيع ، فقبلت الشمس التحدي واهابت بالرياح ان تثبت قولها واسرعت الشمس فاختبأت وراء غمامة ثقيلة ، بينما زمجرت الرياح وراحت تصول وتجول ولكنها كلما ازدادت عصفاً كلما احكم الرجل معطفه حول جسده وشد اطرافه اليه فلما يئست الرياح سلمت بأخفاقها والقت سلاحها وهنالك بزغت الشمس من وراء الغمامة وابتسمت في دعة ورفق للعجوز فما لبث ان تخفف من معطفه ، وعندئذ قالت الشمس للرياح ان للرفق واللين قوة تفوق ما للغضب والعنف .

قال الرسول (ص) من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من الدنيا والاخرة ، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة .

قال النراقي عليه الرحمة : ثم التجربة شاهدة بان امضاء الامور وانجاح المقاصد موقوف على الرفق واللين مع الخلائق فكل ملك كان رفيقاً بجنده ورعيته انتظم امره ودام ملكه ، وان كان فظا غليظاً اختل امره وانفض الناس من حوله وزال ملكه وسلطانه

في اسرع زمان وقس عليه غيره من طبقات الناس : من العلماء والامراء وغيرهما من ذوي المناصب الجليلة وارباب المعاملة والمكاسب واصحاب الصنائع والحرف .

إذا كان من موجبات الأخوة الرفق بالناس وحسن التأني لهم والعزوف عن العنف والشدة والتباعد عن الغلظة والقسوة فأولى بالمداراة لهم ، والموافقة على مشاربهم والتظاهر بالموافقة لهم بكل ما يذهبون اليه ويعتقدونه ويعملون به فقد قال رسول الله : [اتدرون من يحرم على النار ؟. كل هين لين سهل قريب .]

قال الرسول « ص » : المداراة نصف الايمان .

وقال « ص » : ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله وخلق يداري به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل .

يقول الرسول « ص » : امرني ربي بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرائض .

قال الصادق : ان قوماً من الناس قلت مداراتهم للناس فنفوا من قريش وايم الله ما كان باحسابهم بأس ، وان قوما من قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع ، ثم قال من كف يده عن الناس فانما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه ايدي كثيرة . »

اذ لقيت الناس رفيقا بهم مداريا لهم ، فكن حريصا على

معرفة اسمائهم وخاطبهم بها لأول مرة فانهـا تزرع لك المودة في القلوب ، وتغرس لك المحبة في النفوس ، فإن مناداة الرجـل باسمـه تفعل في جذب انتباهه فعل السحر وتستولي عـلى قلبه ومشاعره وهـذا احد الأمور التي اعتمدهـا كارنيجي في جلب الاهواء واستمالة القلوب ، واهل البيت علمونا وأوصونا مؤكدين ان نسأل من نعاشره عن اسمه ونسبه لتزداد علاقتنـا به وثوقا ، وصلتنا به متانة ، وان نحدث بذلك مودة واخوة وصداقة .

قال رسول الله « ص » : العجز امور ثلاثة : الثانيـة منها ان يصحب الرجل منكم الرجل ، او يجالسه يحب ان يعلم من هو ؟ ومن أين هو ؟ فيفارقه قبل أن يعلم ذلك منه »

قال رسول الله « ص » : ان أعجز العجز رجـل لقي رجلا فاعجبه فلم يسأله عن اسمه ، ونسبه ، وموضعه .

قال الصادق : قال رسول الله : اذا احب احدكم اخاه المسلم فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته فان من حقـه الواجب ، وصدق الاخاء ان يسأله عن ذلك والا فانهـا معرفة حمق .

وينبغي ان تبدأ من تلقاه بالتحية، والتحية الاسلامية هي شعار الاسلام، وتعطى ان من تقابله بالتحية مؤداها ان المخاطب في ضمانة السلام والامن من المتكلم ومن الشر بصورة عامة فالدين الاسلامي هو سلام وأمن ، واذا قلت : سلام عليكم فحواها ان السلام

والامن اعلنته من قبل نفسك ولذلك رغب الرسول واهل البيت في افشاء السلام واذاعته .

قال الصادق : البادي بالسلام اولى بالله ورسوله . يعني ان عنوان الاسلام وشعاره هو السلام عليكم ومن بدأ بالسلام فهو اولى بالاسلام لان الدين الاسلامي ركناه الاساسيان شهادة الانسان بالله وبرسوله .

قال الصادق : كان علي يقول : لا تغضبوا ولا تُغضبوا افشوا السلام ، واطيبوا الكلام وصلوا بالليل .

قال علي بن الحسين : من اخلاق المؤمن الانفاق على قدر الاقتار ، والتوسع على قدر التوسع وانصاف الناس وابتداؤه اياهم بالسلام .

قال الصادق : ان ملكا مر برجل على باب فقال له ما يقيمك على باب هذه الدار فقال اخ لي فيها اردت ان اسلم عليه فقال له الملك بينك وبينه قرابة ؟ او نزعتك اليه حاجة فقال لا ليس بيني وبينه قرابة ولا نزعتني اليه حاجة الا اخوة الاسلام وحرمته فانا اسلم عليه واتعهده فقال له الملك : انا رسول الله اليك وهو يقرئك السلام ويقول لك اياي زرت ولي تعاهدت وقد اوجبت لك الجنة واعفيتك من غضبي واجرتك من ناري .

وينبغي الابتداء في السلام قبل المحادثة قال الرسول الكريم (ص) : ابدأوا بالسلام قبل الكلام ، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه . والسلام مستحب وطاعة مقربة ورد السلام واجب قال رسول الله : السلام تطوع والرد فريضة .

بواعث التفرقة

لم يكن الاسلام تهذيباً روحيـــاً فقط ، فنحسبه من الرياضات الروحية فيكون امره وقفا على العبادات الشكلية ، بـل الاسلام يتضمن التهذيب الروحي ، ويتضمن اصـلاح الاسرة ، ويتضمن الاصلاح الاجتماعي بما فيه السياسة والتشريع المدني والجزائي ، ويهدف الى اتحاد اسلامي واخوة اسلامية تنشر جناحها على المسلمين بصورة عامة ليكون المسلمون بنياناً مرصوصاً ، ويكون المسلمون كالجسم الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضـاء بالسهر والحمى وعلمنا كيف يحب بعضنا بعضا ، ويعين بعضنا بعضـا ، ودعانا الى التعاون على البر والتقوى وزجرنا عن التعاون على الاثم والمعصية والعدوان . فكل ما يثلم الوحدة ، ويفرق بين الاخوان ويشجع التفرق فهو بعيد عن الاسلام مخالف لأوامره المولوية والارشادية ، وكل انسان يحمل الدعوة الى التفرقة ويعمل عملاً يفرق بين المسلمين فهو ليس من المسلمين ، ولا يسير في طريقهم ، ولا يعمل بما يرضى به الرسول (ص) بل يكون خصماً للرسول ومعانداً له . اعـاذنا الله وجميع المسلمين من السوء والشر .

العصبية

ان الأسلام هو دين الاجتهاد وحرية الرأي لذلك كان من الأمور الاصلية قول الرسول (ص) : من أجتهد فاصاب له اجران ومن اجتهد فأخطأ له اجر واحد .

وهذه القضية توافق عليها بداهة العقل البشري ، بان يبذل الوسع انسان في تحري الحق والتفتيش عنه ، ومع ذلك يقصر عن الوصول اليه ، ويعجز عن ادراكه ، أو لا يقع على الصواب ، لا من اجل عناد او لجاج او طوية سوء . فانه لا يعنف ولا ينتقد ولا يلام انما ينتقد الرأي وتبحث نفس الفكرة . والباحث نوجد له المعاذير ولا نرميه بسوء ، ولا نحكم عليه بنقص . وهكذا يقرر علم النقد الحديث ، في اخطاء الباحثين الذين لم يصلوا الى نهج الصواب ، او الذين قصرت بهم وسائل البحث ووهنت فيهم قوى التفكير فلم يدركوا الصواب ، وان السباب والعصبية تفتح ابواب الشر على الأمة وتهيج بواعث السوء وتهدم الوحدة التي نسهر لها ويبذل الاسلام جهده في تكوينها ، وحرص النبي (ص) على ايجادها بكل وسيلة وكل فرصة سانحة .

ان الاسلام هو: ألاعتراف بوحدانية الله والاقرار برسول الله (ص) والايمان بالبعث فالفرق الاسلامية التي تنضوى تحت هذا اللواء ويرف عليها هذا العلم الخفاق الخالد ، وتشملها الدعوة الاسلامية الشريفة ، ليس من العدل ان تحمل الطائفة نحو أختها حقداً ولا ضغينة ولا تحكم عليها بزيغ او ضلال فمن اخطأ له اجر ومن اصاب له اجران اذا كان له اجتهاد وبحث وتفكير واستنباط وقد بذل جهده واستنفد وسعه .

حسبنا ما لقينا من التفكك والانحلال فان العصبية الاقليمية والعصبية الطائفية والعصبية السياسية اوهت قوانا وهونت امرنا ونكثت حبلنا وجعلتنا هدفاً لكل رام ونهبة لكل ناهب وفريسة لكل عاجز .

لعمرك لم يفخر عليك كفاخر

ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

واهل البيت نهوا عن العصبية ، ونبهونا الى عواقبها الوخيمة ونتائجها السيئة .

قال زين العابدين : العصبية التي يأثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم .

قال الرسول «ص» من تعصب او تعصب له فقد خلع ربقة الايمان من عنقه .

وقال رسول الله (ص) : من كان في قلبه حبة خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية ، وكان علي يتألم من العصبية واثارها السيئة في نفوس اصحابه يقول : فان كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت بها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالاخلاق الرغيبة ، والاحلام العظيمة والاخطار الجليلة ، والآثار المحمودة ، فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والأخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الارض . حيث ان العصبية ترتكب هذه الفظائع وتهون امور الفساد في الارض بدوافع العصبية الممقوتة ، وتجارب الحياة واحاديث التاريخ تشهد بما ارتكب من قبائح ومنكرات وانزلت خطوب وفوادح باسم العصبية .

سئل الصادق عن قول النبي (ص) : ان الشرك اخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء . قال : كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله ، وكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله عن سب الهتهم لكيلا يسب الكفار آله المؤمنين ، فيكون المومنون قد اشركوا بالله من حيث لا يعلمون وقال لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله .

الانانية

ان اعظم داء تبتلى به الامم ، هو ان يعتقد بعض افرادها انهم اعلى من النـاس عنصراً واطهر ذاتاً واصفى جوهراً ، وانهم خلقوا من طينة اشرف وانساب ارفع ودم انقى وسلسلة امتن وعرق اعرق ، هذه النزعة توحى الى الانسان بعقيدة التمايز والتفاوت فلا يعامل بقية افراد أمته الا بنحو من الاستعلاء ممقوت، واسلوب من الحياة شاذ فتتسع الهوة بين طبقات الشعب، وينظر بقية الشعب الى الطبقة الاخرى نظرة فيها الكراهية ، وتنطوى النفوس على حقد وضغينة لا يطمع احد ان يمحوها الزمان وتطهر النفوس من قذارتها معاملة ، و كثيرا ما يخشى على هذه الضغينة ان تلقي الشعب في جحيم من الثورة تستعر نيرانه ، ويثور بركانه ويحرق كل ما يعرضه من حظارة ونعيم .

حتى ان الاديان التي تقضي بتمايز الطبقات تكون حاجزا قويا وسداً منيعاً دون تقدم الشعب فالبرهمية التي تسن لاتباعها هذه التعاليم المشينة تحكم على عدد كثير من الناس ان يكون عضوا اشل لا فائدة منه للمجتمع سوى الخدمة والعبودية ، وتقضي ان

تخمد مواهب كثير من الناس توجد فيهم المؤهلات لان يكونوا نجوم بلادهم وعباقرة اممهم .

ان الناس سواء في الحقوق والواجبات وليس هناك فوارق تجعل اناساً خلقوا ليكونوا اسياداً واناساً خلقوا ليكونوا عبيداً .

ان الذي امتلأت نفسه كبراً ، وزهى على نظراته وامثاله وجثمت الانانية على صدره ، لقد سجن نفسه بسجن مظلم النواحي لا يدخل النور اليه من نافذة ، اصبح وحيداً لا صديق له لانه لا يساويه احد في نفسه ولا يشبهه احد . راس والناس ذنابى ، لانه قمة والناس الحضيض ، والناس ينظرون اليه نظرة الماقتين ، يعاملونه بسخرية وازدراء ، فيسبونه اذا غابوا عنه ، ويدارونه اذا جالسوه رهبة من قوته او طمعاً في ثروته ، فاذا نزلت به نكبة ، فهم الشامتون لا يتوجعون لدائه ولا يأسفون لفقده .

قال رسول الله «ص» : يا علي آفة الحسب الافتخار ان الله قد اذهب بالاسلام نخوة الجاهلية ومفاخرها بأبائها ، إلا أن الناس من آدم وآدم من تراب واكرمهم عند الله اتقاهم .

قال الصادق : افتخر رجلان عند علي فقال : اتفتخران باجساد بالية ، وارواح في النار ان يكن لك عقل فان لك خلقاً ، وان يكن لك تقوى فان لك كرماً ، والا فالحمار خير منك ولست بخير من احد .

قال علي ما لابن آدم والفخر ، اوله نطفه وآخره جيفة

ولا يرزق نفسه ، ولا يدفع حتفه .

قال حكيم : سألت ابا عبدالله الصادق عن ادنى الالحاد قال : ان الكبر ادناه .

لفظاعة الكبر الذي ينزع بصاحبه الى الخروج عن المساواة التي قررها الاسلام والحق ، فمن تكبر فهو يعد في الملحدين في نظر الصادق الذين ينكرون اهم فكرة انسانية جاء بها الاسلام حينما اعلن : انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم قبائل وشعوباً لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

قال الصادق : الكبر رداء الله فمن نازع الله شيئاً اكبه الله في جهنم .

قال الصادق في وصيته لاصحابه : واياكم والعظمة والكبر فان الكبر رداء الله عز وجل فمن نازع الله ردائه فضحه الله واذله .

قال الصادق: ثلاثة لا ينظر الله اليهم : ثاني عطفه ومسبل ازاره خيلاء . والمنفق سلعه بالايمان .

قال رسول الله (ص) : ان احبكم الى واقربكم مني يوم القيامة مجلساً احسنكم خلقاً واشدكم تواضعاً ، وان ابعدكم مني يوم القيامة الثرثارون وهم المستكبرون . ان التجربة دلتنا ان الذين يتكبرون وتمتلىء نفوسهم انانية واعتدادا بالنفس، لا بد انهم ينطوون على نقص في ناحية من النواحي فهم يحاولون تغطية ذلك النقص ، واخفاء ذلك العيب المتمكن بثوب الكبر والفخر والانانية .

قال الصادق : ما من رجل تكبر او تجبر الا لذلة يجدها في نفسه .

قال رسول الله (ص) : من مشى في الارض اختيالاً لعنته الارض ومن تحتها ومن فوقها .

ونستطيع ان نقول ان الكبر والانانية مراتب : منها ان ترى نفسك فوق الناس بدمك وعنصرك كما يرى ذلك الشعب الالماني والشعب اليهودي ، وقد يرى المتكبر نفسه فوق الناس اذا كان من طبقة الاستقراطية يعتز بامجاد واجداد سابقين لهم في تاريخ بلادهم نواحي عظمة يقرها الشعب وتذعن بها العشيرة كما يوجد ذلك في بلاد العرب عند الشيوخ والامراء ، وقد يغلو الكبر بصاحبه ان يجحد الحق ويختار الباطل اذا كان داعية الحق لم ينعم بحظوظ الارستقراطين .

يقول الصادق : قال رسول الله (ص) : ان اعظم الكبر غمص (١) الخلق وسفه الحق قال السامع ما غمص الخلق وسفه الحق فاجاب الصادق : يجهل الحق ويطعن على اهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله ردائه .

ان العصبية والانانية تملأن النفس بمشاعر واحاسيس تجعل الانسان بعيدا عن الناس ، ينظر اليهم من الاعالي ويعتقد انهم اسفل منه بمراتب ، فهو لا يشاركهم في شعور ، ولا يتوارد معهم

---

(١) الاحتقار

على خاطره ولا يسلك معهم في سبيل ، فهو له طريق الاعلين يعيش امة وحده ، قد اقام حوله جدرانا من عظمته واعتداده ، بنفسه وحبس نفسه في اطار لا يتجاوزه ، وقطع طريقه الى المجتمع فلا ينسجم مع افراده ، ولا يمتزج بهم ولا يصل اسبابه باسبابهم ، وغالباً تستحوذ على هذا الفريق من الناس نزعة التشاؤم ، فهو يعتقد ان الناس تسير في طريق ملتوية عن القصد بعيدة عن الغرض ، والمجتمع لا يخلو من تيارات صالحة حيناً ، وغير صالحة حيناً ، فكل نقص وخلل وتفكك في المجتمع سببه ان الناس لم يعملوا بنصائحه ولم يتحلوا بمارسم لهم ، واشار عليهم بما فيه السعادة والرقي لهم .

ولذلك اصحاب هذه النزعة يختارون العزلة ويبتعدون عن الناس ، ولقد رأينا باعيننا طائفة من هذا الفريق فوجدناهم يحملون نفسيات سوداء قاتمة حافلة بالسخط والمقت لا ينعمون بالحب ولا يعرفون لذة البشاشة والقلوب المفتوحة لمشاركة العواطف والخواطر قلوبهم مقفلة ونفوسهم ساخطة وعقولهم متقلبة ، وهؤلاء لا يصلحون للحياة ولا يدركون معنى الانسانية وما يتوزع منها من احاسيس ومشاعر .

ان هؤلاء الناس قضوا على انفسهم انهم يعيشون غرباء عن الناس بعيدون ، وان قربت ديارهم ودنا مزارهم فهم لا يعرفون شيئاً عن الحياة الحافلة بالاشياء الجميلة الساحرة المليئة بالطيبات الفاخرة ، من مجالسة الناس ، والاستمتاع باحاديث اخوان الصفا وعشراء الفضيلة ومخالطة الادباء .

هكذا نجهل الاصدقاء

ان ايجاد الصداقة امر ميسور سهــل المنال ، ولكن المهم في الحياة المحافظة عليها واستبقائها ، وكل انسان قدير وباستطاعته ان يتخذ الاصدقاء والاحباء ، ولكن الصفوة النادرة هي تحافظ على الصداقة فلا تدعها تجف ولا تذبل ازهارها ، ولا تخف حرارتها .

ان كثيراً من الناس يضيعون صداقة الناس لاتفه الاسباب ، ويعرضون عن اصــدقاءهم وينصرفون عن مودتهم ، وينسون صحبتهم لبادرة من قول وفلتة من طبع وتقصير في واجب قــد يكون عن غفلة وانشغال فكر ؛ وارتباك عقل ، وفورة غضب ، ولا يوازنون بين اساءة عارضة ، وتقصير غير مقصود ، وبين ماض حميد وصلات طيبة، وصحبة نقية وعشرة سعيدة بل يهدمون الصرح المشيد لاجل لبنة فيها شعث او رخامة فيها كلف نعم امثال المتنبي ونظرائه يعرفون ان يوازنوا فيقول :

وان يكن الفعل الذي ساء واحداً فافعاله اللائي سررن ألوف

كثير من الناس تطغى عليهم كبرياءهم وتستحوذ عليهم عاطفة

الاعجاب ، فيعلنون انهم لا يبالون بصديق قديم ، ولا يحفلون بصاحب جديد لفلتة طبع او بادرة غضب ، او نزوة طيش في حين ان الذين يفكرون في عواقب الامور واوائلها يحرصون ان يكونوا في الحب قدوة تحتذى ، ومثلا ينطبع الناس على غراره في التحبب الى الناس والمداراة لهم والرفق بهم والتماس المعاذير ويجرب الانسان ان يتخذ خيالا موقفهم ، ويفرض ان ظروفهم محيطة به ، وعواطفهم في ذلك الوقت مستأثرة بقلبه ولسانــه ، ودواعيهم متمكنة من نفسه وليكن هو الحاكم في ذلك الوضع وتلك الحالة ، فلا محالة يجد اسباباً كثيرة تخفف من اسائتهم ، وتبرر اعمــالهم وتصحح غلطهم ، ولو راجعنا انفسنا ، والقينــا نظرة فاحصة على تاريخ حياتنا وتتبعناها مرحلة مرحلة ، طبعاً نجد عندنا من الاخطاء والهفوات مع اصحابنا واصدقائنا ما يربو على هفوات اصدقائنــا وبوادرهم نحونا .

قال الباقر : كفى بالمرء عيباً ان يتعرف من عيوب الناس ما يعمى عليه من امر نفسه ، او يعيب على الناس امراً هو فيــه لا يستطيع التحول عنه الى غيره ، ويؤذي جليسه بما لا يعنيه .

ولا ريب ان خسارة الاصحاب والرفقاء بهذه الموجبات مردها الى جهل مستحكم ونفس غير مرتاضة على حساب اخطائها ومراجعة تاريخها وعــاجزة عن المقارنة بين الاحوال الطارئة عــلى الناس والاحوال الطارئة عليه في امثال هذه المواقف ، هــذه موجبات ضعيفة ولكن هناك موجبات بعيدة الاثر في المجتمع منها .

الحسد

داء قديم صحب الانسان منذ عهده الاول ولا يزال مصاحباً له وهو انا ينمو ويشتد ويقوى بين الاقرباء او بين المعارف والمجاورين والمنافسين على بلوغ المراتب ونيل الدرجات ، او على ادراك منفعة وبلوغ طلبة او مجيء رزق او تحصيل مادي او معنوي ، في حين يكون الآخر خلوا منه او في مرتبة دونه .

ان معنى الحسد ان يشعر الانسان بالالم والضيق حينما يرى او يسمع ان رجلا آخر مثله ناله حظ من حظوظ الدنيا او ادرك خيراً به تعلو مرتبته ويسمو قدره وتكثر امواله او ينتشر صيته او تجمل احدوثته . فيضيق لذلك صدره ويكربه ويحزنه ان يرتفع نظرائه وامثاله عن مستواه ، فهو لو استطاع ان يجذب المرتفع الى اسفل لفعل ، او يؤخر المتقدم ، او يصد السابق لكان في ذلك راحة لمرض نفسه ، وشفاء غيظه وعلاج دائه ، فجبلته تكره السابقين ، ويحتد على المجتهدين الطامحين ، في حين انه قانع بمنزلته راض بما هو فيه لا تحفزه حوافز الهمم ولا تستحثه مطامح المجد .

وربما نجد من الحـاسدين اناساً يودون ان تكون المراتب والخيرات والنعم التي نالها الناس بجدهم و كفاحهم ان تكون لهم ، لأنه الجديرون بكل خير، والاكفاء لكل منزلة ولكنهم يذمون الذين يوزعون الحظوظ وتقسيم المراتب، فان كان الحاسد منتظماً في سلك دولة يبكي على العدل واهله ويعتقد ان الامور تسير بالواسطة والشفاعة، ولا تسير حسب المؤهلات والجدارة ، وقد يوغل في انتقاده ويلج في عناده ، فيسب الاقدار ويثور على الله الذي قضى عليه بالحرمان وبسط لغيره في الرزق والجاه والسمعة الطيبة .

قال الله تعالى : « ود كثير من اهل الكتاب ان يردوكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم » .

وقال الله تعالى منكراً وموبخاً : ام يحسدون الناس على ما اتيهم من فضله .

وقال الرسول (ص) : لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا و كونوا عباد الله اخوانا .

وقال الرسول (ص) سيصيب امتي داء الامم قالوا : وما داء الامم قال : الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج . هذا الحديث يدلنا ان زمن الفترة قبل بعثة الرسول كانت الامم قد تلاشت معنوياتها وانتشرت بينها اصول الشرور واسبابها النفسية من كبر وبطر ومنافسة وحسد ، وهذه الاشياء ان احتلت قلب الانسان استولت

عليه واستفزته الى كل قبيح وهيأته لكل فتنة ، وملأته بالحمم والنيران ، فاذا وجدت الظروف ان ينفجر ، انفجر على العالم بالثورات والحروب والمخاوف وزعزع بنيان المجتمع ، وقضى على الروابط الانسانية ، والصلات الخيرة ، والقيم العليا ، التي لا يسعد المجتمع ولا يزدهر ولا تطمئن الامور وتهدأ الاحوال الا باعتناقها والتحلي بها والمنافسة في حيازتها .

قال الرسول (ص) : ان لنعم الله اعداء فقيل ومن ذلك قال : يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله .

قال رسول الله : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

قال الباقر : ان الرجل ليأتي بأي بادرة فيكفر وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب .

قال الصادق : آفة الدين الحسد والعجب والفخر .

قال الصادق : المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط .

روى موسى بن جعفر عن ابيه عن جده ان رسول الله (ص) قال : الا أنه قد دب اليكم داء الامم من قبلكم وهو الحسد ليس بحالق الشعر لكنه حالق الدين ، وينجي فيه ان يكف الانسان يده ويخزن لسانه ولا يكون ذا غمز على اخيه المؤمن .

روى الصادق عن رسول الله (ص) انه قال قال الله لموسى بن عمران : يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما اتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمتي

صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني .

قال الصادق : ثلاثة لم ينج منهـــا نبي فمن دونه : التفكر في الوسوسة في الخلق . والغيرة . والحسد . الا ان المؤمن لا يستعمل حسده . الانبياء منزهون عن ان تمتد اعينهم الى ان يتمنوا ماينعم به الناس من جاه وثروة ، وما بلغوه من رتبة ومنزلة ، ومـــا ادركوا من خير وسعادة انما هـــذا بيان الى ان خواطر الحسد وخوالج الطيرة وما شاكلها قد تطوف بارفع القلوب واطهرها ، ولكن مرورها في ثنايا القلوب وعبورها افاق النفوس لا يسجـــل رذيلة، ولا يستحق صاحبها لوماً ولا عقابا ولا انتقاداً الا اذا ظهرت اثارها ، وكانت متصرفة بيد الانسان ولسانه وتعدى شرها وايذائها الى الاغيار ، والهاجس النفسي لا اثم عليه لانه يزول بسرعة ، اذا بقيت النفس منقادة بزمام الفضيلة مسترشدة بهدى الضمير مستضيئة بأنوار الايمان :

لو فكر الحاسد في حقيقة ما هو فيه لاقلع عن الغواية التي يعود عليه ضررها ، ويحيق به خطرها ، حيث انه باستعمال حسده ينطلق لسانه بالذم والتفتيش عن النقائص ، ويسعى في عرقلة اعمال المحسود والحيلولة بينه وبين بلوغه غايته ، وفي ذلك انكشاف مستوره ما انطوى عليه ، والناس ليست من البلاهة بحيث تخفى عليهم سريرته وتنطلي حيلته ، فيكون خسر بذلك صداقة الناس وحبهم وحسن معاملتهم وكان اعلانا على فضيلة المحسود وتنويهـــا به وتزكية له وهكذا حدثتنا التجارب ونطق الشعر .

واذا اراد الله نشر فضيـلة   طويت اتاح لها لسان حسود

فيكون قد اذاع فضل المحسود قبل ان يشفي غليله وهتك نفسه قبل ان يهدم من بناء الحسود لبنة واحدة .

فالخليق بالحاسد اذا علم ان في نفسه هذه الخواطر المؤلمة ان يفتش عن الطريق التي يسلكها المحسود فيسلك فيها فلعله ان يصل الى درجة تطفىء ضرام فؤاده وتصرفه عن النقيصـة الى الكمال وعن الشرور الى الخير والصلاح .

هكذا نخسر الاصدقاء

الانسان اذا كان عنده شعور صـادق بالدين فشعوره الديني يمنعه ان يسيء الى الناس ، لأن الدين المعاملة . الدين النصيحـة . لأن المتدين اذا عامل لا يظلم ، واذا حدث لا يكذب ، واذا وعد لا يخلف واذا اوتمن لا يخون والدين ليس صلاة ولا صياما مجردين عن النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي .

الانسان اذا كان عنده وجدان يوحي اليـه بشرف الانسانية التي يحملها ، او شرف الاسرة التي ينتمي اليها ، او شرف العمـل الذي يمارسه . وجدانه يحجزه ان يتناول احـداً بأذى ولا يرهف لسانه مدية حادة يفرى بها لحوم الناس ويقطع اوصالهم ويهـدم بنيانهم .

الانسان اذا كان يعيش في مجتمع ، ويشعر انه يحيا في مجتمع ، ويشعر بأن المجتمع اقوى من الفرد بجميع مـا يمتاز به الانسان ويدعي لنفسه الامتياز عـلى الناس ، فالمجتمع هو المستودع الذي لا تنضب موارده فالملوك والطغاة والاعيان مفتقرون الى المجتمع منه يستمدون سلطانهم وطغيانهم ووجاهتهم ، فاذا تخلى عنهم المجتمع

تجردوا من لباس العزة والمهابـــة ، واصبحوا عراة من القوة التي سطوا بها ، فقراء من الثروة التي ازدانوا ببريقها ، فالشعب مصدر القوة ، وواهب العظمة للعظماء ، بالأمس كان فاروق معقد آمـــال فلما تخلت عنه مصر فاذا هو غريب ، لا اهل ولا وطن ولا نديم ولا سكن ، فمن كان يشعر انه يعيش في مجتمع فلا يتطاول على الناس بالسباب ولا يجاهرهم بالعداء ، ولا يحتقر احداً ولا يبغي على احد ، فان سب الناس سبه الناس وان احتقر الناس احتقره الناس وان بغى على الناس فعليه تدور الدائرة ، فالذي يحيا في مجتمع يبادل حباً بحب وتكريماً بتكريم والفضل ان تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من منعك .

لا تغضب

ان كثيراً من الناس عندهم سرعة انفعال يهيج هائجهم لأقل حادثة ، وتثور ثائرتهم لسماع ادنى كلمة ، يحسبون فيها تلويحاً ، او تلميحاً ، او ايماء الى ما يخدش شعورهم ويجرح كرامتهم ، وهؤلاء قوم عصبيو المزاج اذا حدثهم كاذب بحديث مختلق ، او جاءهم فاسق بنبأ كاذب عن قوم آخرين انفجروا كالبركان وهاجموا كالتيار واحرقوا كالصواعق، وتصبح نفوسهم جحيما مستعرا بالحقد يتطاير من السنتهم وايديهم الشرر لا يفكرون ان المخبر قد يكذب والفاسق قد يعمل على هياج الشر وضرام الفتنة، اما انتقاماً من الذين اخبر عنهم او عداوة للذين اخبرهم، فتنزل النكبات بقوم نفوسهم هادئة وقلوبهم مطمئنة وادعة ، ولكن العاقل لا يهيج لاقل حادث بسيط ولا يثور عند سماع كلمة لها في الخير محمل حسن ، ويمكن ان يكون لها عذر يخفف من ايلامها وحدتها ، وفي فورة طبع الانسان وهياج غضبه قد ينزل السؤ بمن لا يستحق اصابته بسؤ ، حيث ان غضبه لم يدع له مجالاً لأن يفكر ويشك في الراوي ، فيصيب قوما بالأذى وهم قد لا يستحقون

سوى التكريم ، فيصبح نادماً على فعله مضطراً للتكفير عن عجلته قائماً بالتعويض عن تسرعه وطيشه ،ولو تثبت في الأمر وتروى، قليلاً في مواجهة الحوادث ، واستأنى حتى يعلم علم اليقين لكان وقى نفسه من كثير من الشر ، واستدنى كثيراً من الخير وشق لنفسه طريق النجاة من المخاوف .

في عصور الاستبداد المظلمة يكون الغضب ميزة العظماء والاعيان حتى يجعل احدهم للناس يوم بؤس فمن دخل عليه انتقم منه . وكانت الامراء والاعيان يخشى انتقامها في ساعة غضبها ، فإذا غضب الامير لحادث تافه كفرار طائر من قفص كان الامير يحبه ، او سقوط كأس زجاجي من يد ساقية ، وهكذا محقرات الامور التي يقع امثالها فساعة الغضب لا يكلم الامير احد ، ولا يجرأ على مخاطبة الوجيه احد ، ولا يدخل على السيد الغاضب احد ، خشية ان يضرب من واجهه أو سب من دخل عليه او ينتقم ممن تجاسر وتجرأ ، ونجد الغضب في عهود الديمقراطية اقل انتشاراً ، وفي الاوساط المثقفة يعد سرعة الغضب والانفعال خلقاً ذميماً وطبيعة محتقرة مرذولة،والاستجابة لكل باعث يعد نزقا .

نعم الغضب حينما يكون له مبرر من عقل ، ومؤيد من حكمة وناصر من وجدان ومساعد من دين يكون الغضب هو الواجب واحتمال الاذى والصبر على المكروه رذيلة والتضحية هي شرف رفيع ومفخرة باقية يسجلها التاريخ ويكون قدوة حسنـــة في اباء الضيم والذود عن العرض والمال والدين والوطن .

وفي ذم الغضب قال رسول الله (ص) : الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وقد ورد عنه (ص) ان سوء الخلق له هـذا الاثر اذن الغضب هو المراد من سوء الخلق الذي تقدم انفاً .

قال الصادق : اتى رسول الله (ص) رجل بدوي فقـال اني اسكن البادية فعلمني جوامع الكلم فقـال : امرك ان لا تغضب فاعاد عليه الاعرابي المسئلة ثلاث مرات حتى رجع الرجل الى نفسه فقال لا اسأل عن شيء بعد هذا ، ما امرني رسول الله الا بالخـير قـال وكان ابي يقـول : اي شيء اشد من الغضب ؟ ان الرجل ليغضب فيقتل النفس المحترمة ويقذف المحصنة .

مر رسول الله بقوم يشالون حجراً فقال : ما هذا فقالوا نختبر اشدنا واقوانا فقال الا اخبركم باشدكم واقواكم قالوا بلى يارسول الله قال : اشدكم واقواكم الذي اذا رضي لم يدخله رضاه في اثم ولا باطل ، واذا سخط لم يخرجـه من قول الحق ، واذا ملك لم يتعاط ما ليس له بحق .

قال الباقر : ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض ، فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك .

قال الباقر : ان الرجل ليغضب فما يرضى ابداً حتى يدخل النار فايما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فانه يذهب عنه رجز الشيطان وايما رجل غضب على رحم فليدن فليمسه

فان الرحم اذا مست سكنت ، واذا رجعنا الى دروس الحياة التي تقدمها للناظرين مكتوبة بالحرف الكبير ، يقرأها كل عاقل متعظ يرى في محتوياتها ان الغضب وسرعة التأثر تكثر عند الجهلاء والشباب الذين تكون عواطفهم تملك اعينهم وتتصرف بهم اهوائهم ، وهكذا تجد عند المرضى حدة الانفعال وتجد عند سكان البوادي والقرى الغضب الثائر لكل حادثة ، وبذلك نعلل كثيراً من الحياة الثائرة الهدامة عند الجاهليين ، حيث لا يعرفون حل المشا كل بالوسائل السلمية ، بل يحتكمون الى السيف فحياتهم وتاريخهم يكاد يكون مكتوبا بالدم مصبوغاً بلون الغضب والانفعال الهائج ، ولكن اولى الرأي الثاقب والحكم الواسع الذين يتدبرون الامور لا يهيج هائجهم عند مثيرات الغضب والانفعال ويعرفون ببرودة الدم لان رويتهم تغلب عواطفهم .

لا تغتب

من المألوف في الاوساط العادية ان يتفشى النقد للاشخاص . وليس ذلك النقد يستند الى ناحية تبرره ، وانما هو التحدث عن معائب الناس ، والافاضة في ذكر النقائص وشرح المعائب ولن تجد في الحياة الانسانية من استوفى الكمال في جسمه ، وفي خلقه ، وفي اعماله ، فكل انسان اذا فتش نفسه يجد مساغا للقول ونافذة يلج منها الناقدون من دون مشقة او عناء .

ليس في هذه الاندية سوى الغيبة وهي ان تذكر انسانا بما يخدش شعوره ويجرح عاطفته اذا سمعه او نقله ناقل .

ان هؤلاء الذين يألفون الغيبة ، لا يحسبون انهم يعيشون في مجتمع ، فالغيبة لا بد ان تصل الى صاحبها فيتغير لك قلبه وتتقلب طبائعه ويجتنب صحبتك ويغض طرفه عمن يعيبك ولا تحسب انك بمنجاة ان لا يعيبك مغتاب ولا يهاجمك مهاجم ، وقد يتفنن الناس في الغيبة فقد يعيبونه في تشويه في جسده او بمحاكاة في عرج او انتفاخ بطن او تقليده فيما هو نقص باعين الناس من خشونة صوت وامالة عنق ، وقد يرمزون بالقاب وكنى يتعارفونها فيما بينهم

وقد يندبون اغلاط القدر فيذكرون ناقصاً بلغ درجة رفيعة، او فقيراً اثرى ووضيعا ارتفع وجاهلا نال وظيفة، فيذكرون الوسائل التي صعدت بهؤلاء الى مستوى ارفع، ويعللونها بالحيل والنفاق والخداع والملق وما يتصل بذلك من الوان السوء. هذه نماذج تراها وتسمعها وهناك في واقع الحياة العامة اشكال وصور آخر تستطيع ان تعرفها بنظرة سطحية.

قال الله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم.

قال رسول الله (ص): الغيبة ذكرك اخاك بما يكره قيل: افرأيت ان كان في اخي ما اقول؟ قال: ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته.

قال رسول الله (ص): المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

قال الصادق: من روى عن مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من اعين الناس اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان.

قال الصادق: من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم.

خطب رسول الله (ص) حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال:

يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابو المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته .

قال رسول الله (ص) : من اغتاب مسلماً او مسلمة لم يقبل الله صلوته ولا صيامه اربعين يوماً . هذا الحديث يعطينا ان الأديان بجميع تعاليمها العملية ترمي الى تهذيب المجتمع وتكميله وسعادته وان من يعمل سوءاً تجاه المجتمع لا تنفعه العبادة لان اساءته اربت على خيره وعبادته ، حيث ان الغيبة تمنع من قبول العبادة .

العاقل الفطن يتصون عن الغيبة ، حيث ان الغيبة تباعد بين القلوب وتقطع الروابط بين الناس من حب ومودة وصداقة ؛ وقد تكون صدرت عن دواع غير اصيلة في النفس ، واما اذا صدرت عن دواع اصيلة فهناك يكون فاعلها بؤرة شر ، حيث ان بواعثها الاصيلة اصول الشرور كالحسد والكبر والحرص والحقد ومن توجد في نفسه هذه العناصر اللئيمة ، والمبادىء الاثيمة ، فهو يعيش وحده تكفيه ادوائه ويقضي عليه بلائه .

قال رسول الله (ص) : يؤتى باحد الناس يوم القيامة فيوقف بين يدي الله ويدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول آلهي ليس هذا كتابي فاني لا ارى فيه طاعتي فيقول له ان ربك لا يضل ولاينسى ذهب عملك باغتياب الناس ثم يؤتى بآخر ويدفع له كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول آلهي ما هذا كتابي فاني ما عملت هذه الطاعات فيقال له ان فلانا قد اغتابك فدفعت حسناته اليك .

وقد يكون التحدث عن شخص وهو غائب ليس بغيبة حيث ان الغيبة يقصد منها اظهار عيوب الناس وتحقيرهم ، فقد يكون التحدث لدواع اخر ولا يكون محرماً ، ويأتي ذلك في مقامات :
منها ان تنصح مستشيرا في ايداع امانة او تنصح انسانا في امر فيه مخاوف ومخاطر .

منها ان نقصد التعريف وايضاح المقصود لا تقصد الايذاء ولا الاحتقار .

منها المظلوم فالله لا يحب الجهر بالسوء الا من ظلم .

لا تفسد بين الناس

ان النميمة ونقل احاديث الناس من قائل الى من قيلت فيه شأن الاذلاء ، ضعاف القلوب مبعدين عن تكوين كيان مرموق ومكان ملحوظ و كرامة بين الناس، فلذلك يضحون بكرامتهم ويكونون جواسيس يتسقطون الاخبار ، وربما يبتدعونها في حق ابرياء منزهين ،فيذهبون ليغرسوا الفتنة ويزرعوا الحقد في القلوب ويعملون جهدهم على تقطيع العلائق وهدم الصلات الطيبة بين الناس، وانما يطيب لهم ان تتمكن البغضاء في القلوب والعداء المستحكم بين الناس عليهم ،يجدون سوقاً لبضائعهم ومصغيا لاحاديثهم وسامعا لأقوالهم ، ولا شيء اضر عليهم من ان يتصافى الناس بالمودة ، وتتوثق بينهم عرى المحبة ويتبادلون شعور الصداقة، حيث تنكشف فضائحهم وتعرف اغراضهم السيئة ،وبالاخير تمل الناس من العداء وتبتعد عن الخصام، ويستفيق الناس الى من يريد اضرام النار ويمدها بالوقود لئلا تخمد ، ويروح عليها لئلا تنطفىء .

قال رسول الله (ص) : احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله

المشاؤن بالنميمة بين الاحبة المفرقون بين الاخوان المتلمسون للبراء العثرات .

قال علي : قولوا الخير تعرفوا به ، واعملوا الخير تكونوا من اهله ، ولا تكونوا عجلا مذاييع فان خياركم الذين اذا نظر اليهم ذكر الله ، وشراركم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة المبتغون للبراء العيوب .

ولو لم يكن في شأن ذوي النميمة الا ان وصفهم الله في كتابه بانهم يفسدون في الارض لكفاهم مذلة ومهانة : ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض والنميمة اكبر فساد .

قال رسول الله : ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله ان يدينه بها يوم القيامة .

لا تسخر من احد

ان محاولتك لأن تجعل الناس وسيلة لاثارة الضحك والاستخفاف بهم دليل على جهلك بالانسان واعوازك الايمان بالانسانية ،حيث انك تستهزىء بالناس قد تجد ثغرة تنفذ منها الى احتقارهم والعبث بهم ، سيما اذا وجدت من المترفين مشجعاً على ذلك العبث العابر فتغرس بذلك عداوة لك انت في غنى عنها ، وتوقد بغضاء لا تعلم متي تنطفىء ، ومن القريب ان يقوى الضعيف ؛ وينبت الريش على مقصوص الجناح وتشتد الاظافر من ذلك الذي كان امس مقلم الاظافر ، فتعكس الآية ويجيء استيفاء الدين منك اشد ايلاماً واعمق جرحاً ، واذا كنت تؤمن بالنفسية الانسانية فقد يكون محل سخريتك وموضوع هزئك واستخفافك اعلى منك قدراً وازكى جوهراً وابعد منك في الخير اثراً، فقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنو لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان .

لا تكن سفيهاً

من ادل الاشياء على انحلال مروؤة المرء وضعف همته وانحطاط منزلته ان يكون بذيء اللسان ، ويدل فحشه في القول على هبوط مستواه ، فاللفظ البذيء والقول الدني لا يحمله لسان شريف ولا يرويه كتاب ولا مقال شريف ، وينبغي ان يترفع لسان الانسان وخطابه و كتابه عن الالفاظ السافلة والالفاظ المزرية باصحابها، فكثيراً ما رأينا رجالا لهم منظر جميل ويتجمل باجمل زي أنيق ، فما هي الا ساعة ونسمع منهم الالفاظ البذيئة ؛ والفحش المزري فيستحيل نظرنا اليهم بالمهابة الى احتقار وازدراء وانصراف الاسماع عن احاديثهم والقلوب عن الشعور بهم لعلهم يرتدعون عما هم فيه من قذارة مخجلة وقبح منفر .

قال الصادق قال رسول الله : ان من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه .

قال الصادق : لا تسفهوا فان أئمتكم ليسوا بسفهاء .

عن جعفر الصادق عن آبائه في وصية النبي (ص) لعلي قال يا علي حرم الله الجنة على كل فاحش بذيء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه .

حدث سماعة قال دخلت على الصادق فقال لي مبتدئا : يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمالـك ؟ اياك ان تكون فحاشا او سخابا (١) او لعـانا ، فقلت والله لقد كان ذلك انه ظلمني ، فقال ان كان ظلمك فقد اربيت عليه ان هـذا ليس من فعالي ؛ ولا امر به شيعتي استغفر ربك ولا تعـد قلت : استغفر الله ولا اعود .

قال الصادق :ان الفحش والبذاء والسلاطة من النفـاق. ولا ريب ان المنتصر بالسباب معروف بالهزيمة ، والمتاجر بالفحش خاسر وان كان رأس ماله ضخما ولنعم ما قال الاول .

لئن تك قد سابتني فسببتني هنيئاً مريئاً انت بالفحش احذق

قال الصادق من كال للسفيه بالسفه فقد رضي بمثل ما اتى اليـه حيث احتذى مثاله معناه ان الشريف ينزه نفسه عن سلوك سبيل السفهاء، واذا تصامم عن سفاهتهم كان لمقامه مكرماً وبفضله عاملاً ولمنزلته صائناً عن ان يدنسها بامثال هذه القاذورات ، فاذا نزل الى مستوى السفهاء صار منهم باحتذائه عملهم .

روى جعفر عن ابائه عن رسول الله (ص) في وصيته لعلي : يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار ، يا علي شر النـاس من اكرمه الناس اتقاء شرة واذى فحشه .

---

(١) السخب الصخب .

لا تظلم

في الانسان غرائز اذا اطلقت تكون ملكات سوء واسباب شر مستطير، منها الجشع والأستئثار، فان الأنسان غرائزه متمكنة من ذاته سابقة فيه على بواعث الخير، فاذا لم تجد حاجزاً يصدها، ولجاماً يكبح جماحها ووازعاً يردعها جرت مع الهوى بسرعة ونشاط لا تقف حتى تبلغ النهاية، في الأمثال العربية من ملك استأثر، ومن عز بز ودلنا تاريخ الانسان فيما مضى، كما ترينا تجارب الحياة فيما يقع بين اسماعنا وابصارنا ان من وجد في نفسه قوة، ووجد يده مبسوطة، وكان له اعوان وانصار، وامن ملاحقة العدالة، فانه تطغى عليه نفسه، وتستخفه اطماعه، فيعبث بالمقدسات الانسانية، ويستخف بالمثل العليا، وتستحيل نظرته إلى الأشياء، فيجف ما في قلبه من ينابيع الخير فيفقد الرحمة ويفقد الحب ويفقد لذة الأيثار، ويفهم من الحياة منفعة ونفوذاً وسيطرة، ولهذا يوصي ميكافيلي اميره ان لا يبالي بالمبادىء التي يحترمها الناس من دين وحب وشرف ولا ينبغي مناصرة هذه الأشياء الا اذا كانت عونا على بلوغ اغراضه، فاذا عارضت اطماعه ووقفت في سبيل سلوكه نحو اهدافه،

فلتكن هذه المبادىء وهذه المثل اهون الضحايا ، ولا ينبغي ان يقام لها وزن وينظر اليها من العناية ، ولا ينبغي ان يقف منها موقف المتأسف على ما فرط فيها .

ان اتباع الغرائز ، والانقياد بزمام الشهوات ينضب ما في نفس الظالم من ينابيع الخير ، ويسود وجدانه ، وتنطفىء اشعة ضميره فلا تؤثر فيه اصوات الشاكين ، ولا دموع الباكين ولا مناظر البؤس والتعاسة التي انزلها بالضعاف العاجزين ، وبهذا نعلل قسوة الطغاة الحاكمين بأمرهم ، ونعلل فتك ذوي الاجرام الذين يقفون من ضحاياهم موقف العابث حينما تتخبط الضحايا بدمائها وتئن من اوجاعها .

الأديان جميعها والعقول تحارب الظلم ، وتحارب رجاله وطالما سالت الدماء انهاراً بواسطة شهوات ظالم ورغبة مستبدعات ، وعسف طاغية جبار ، حتى ان التاريخ الذي نقرأه وننظر في محتوياته للخبرة والعبرة نحسب انه قد كتبت فصوله وابوابه بالدماء الحمراء اينما تلفت في تلك العوالم التاريخ نجد الحياة انهاراً تجري بالدم وتسمع قعقعة السلاح متناغمة باهازيج النصر وبكاء المغلوبين ، فتشمئز من الحياة ومن اولئك الطغاة الجديرين بأن يكونوا سبة وعاراً في تاريخ الانسانية ، لا ان يكونوا مفخرة وعزا ولا أن يكون عنوان مجد ومصدر افتخار .

ان الذين لا يتورعون عن ظلم ؛ فالملك اذا ظلم رعيته . والامير اذا ظلم عشيرته ، والزعيم اذا ظلم اتباعه ، وكل كبير قوم

اذا ظلم من هم دونه فلقد قرر كل واحد منهم مصيره ، وعين منقلبه وعرف خاتمته فجميع ما يرتقب الهلاك والسوء والشر . واننا لننظر في تاريخ الملوك الظالمين فنجدهم قصار الاعمار ، حيث ان الشعب يتمنى هلاكهم ويثور عليهم لاول فرصة ممكنة ، اتباعهم تضجر منهم ، حراسهم تمقتهم ضمائرهم تحاربهم وتوبخهم وتندد بهم .

ان تاريخ الطغاة والظلمة حافل بالمخازي ، تفوح منه روائح كريهة تنفر الطباع منها ، وتشمئز النفوس وتراهم تركوا لمن يأتي بعدهم سبة متصلة ، ولعنة دائمة وعارا لا تمحوه الايام المتتابعة .

قال الله تعالى : وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

قال الصادق : قال رسول الله (ص) : اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيامة .

قال الصادق : قال رسول الله : اني لعنت سبعا لعنهم الله وكل نبي مجاب قيل : ومن هم ؟ يا رسول الله قال : الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمخالف لسنتي والمستحل من عترتي ما حرم الله والمسلط بالجبروت ليعز من اذل الله ويذل من اعز الله والمستأثر على المسلمين بفيئهم مستحلا له والمحرم ما احل الله .

قال علي : قال رسول الله (ص) : يقول الله : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري .

قال الباقر : ما من احد يظلم مظلمة الا اخذه الله بها في نفسه وماله ، فاما الظلم الذي بينه وبين الله فاذا تاب غفر له .

قال زين العابدين راوياً عن ابائه : يأخذ المظلوم من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم .

قال الصادق : ما من مظلمة اشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونا الا الله .

قال الباقر : لما حضرت ابي الوفاة ضمني الى صدره ثم قال : يا بني اوصيك بما اوصاني به ابي حين حضرته الوفاة بما ذكر ان اباه اوصاه به قال: يا بني اياك وظلم من لايجد عليك ناصراً الاالله.

قال الصادق : اما انه ما ظفر بخير من ظفر بالظلم اما ان المظلوم يأخذ من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم ثم قال : من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر اذافعل به .

قال علي : اعظم الخطايا اقتطاع مال امرىء مسلم بغير حق .

قال الباقر : الظلم ثلاثة : ظلم يغفره الله . وظلم لا يغفره الله . وظلم لا يدعه الله . فاما الظلم الذي لا يغفره فالشرك ، واما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله ؛ واما الظلم الذي لا يدعه الله فالمداينة بين العباد .

هذا الحديث يعطينا ان حقوق الله بين العبد وبين ربه تمحوها التوبة، واما حقوق العباد فلو اعتدى انسان على آخر ، فلا يغفر الله للمعتدي حتى يرضى المعتدى عليه صاحب الحق وفي هذا المعنى جاء عن الباقر قال : قال رسول الله : من اقتطع مال مؤمن غصبا بغير حقه لم يزل الله معرضا عنه ماقتا لاعماله التي يعملها من البر

والخير لا يثبتها في حسناته حتى يرد المال الذي اخذه الى صاحبه .

قال الصادق : واياكم ان تعينوا على مسلم فيدعو عليكم فيستجاب له فيكم ، فان ابانا رسول الله كان يقول : ان دعوة المسلم المظلوم مستجابة وليعن بعضكم بعضاً فان ابانا رسول الله كان يقول : ان معونة المسلم خير واعظم اجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام .

قال علي انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فانك ان لم تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه ، وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد .

ومن انواع الظلم البغي ، وهو من المحرمات التي نهى الله عنها في كتابه، ونهى عنها الرسول الكريم وآل محمد يتكلمون عن جدهم وينشرون في الناس تعاليمه وينفذون اقواله، وينصرون رسالته بكل ما يستطيعون حتى لو اقتضى المقام التضحية، وهكذا كانوا فلقد ضحوا في سبيل نصرة العدل والحق والانسانية بجميع مايملكون حتى الحياة .

قال الصادق راويا عن رسول الله : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكا .

قال الصادق في وصيته لأصحابه : وإياكم ان يبغى بعضكم على بعض فانها ليست من خصال الصالحين فان من بغى صير الله بغيه

على نفسه ، وصارت نصرة الله لمن بغى عليه ، ومن نصره الله غلب واصاب الظفر من الله .

قال الصادق : في وصية النبي لعلي قال الرسول (ص) : يا على اربعة اسرع شيء عقوبة : رجل احسنت اليه فكافأك بالاحسان اسائة . ورجل لا تبغى عليه وهو يبغى عليك . ورجل عاهدته على امر فوفيت له وغدر بك . ورجل وصل قرابته فقطعوه .

روى الصادق عن رسول الله : ان اعجل الشر عقوبة البغي . فاذا كان الظلم يثلم الكيان الاسلامي ويهدم الاخوة الاسلامية التي بذل الرسول الكريم وسعه في تحقيقها ، وسار ابناؤه على تقويتها وتشييد دعائمها وتثبيت اركانها فما اجدر المسلم ان يكون عادلا منصفا من نفسه .

كن عادلا

حينما بدأ الانسان يفكر كان يسترعي انتباهه ، ويشغل قلبه اصلاح المجتمع ، بحيث يتناول الأصلاح جميع طبقات المجتمع وتنتظم السعادة افراد الشعب على السواء حسب المرتبة والمنزلة والبيئة ، فوضعت الفروض ، وقـدمت الاقتراحات ، وبسطت الأنظار وصورت المدينة الفاضلة فما وجد المفكرون ، ولا اقترح المصلحون ولا امر الأنبياء الا بالعدل ، لأنه هو الوسيلة الممكنة اذا نظرنا الى واقع الأنسان ، وما سواه مثل اعلى بعيد التحقق عادة ، وان كان يمكن عقلا .

العدل يقوم على دعامتين هما الناحية الظاهرة وما سواهما فأمر سهل امره ، الأولى ان يعطى كل ذي حق حقه من دون محاباة او اجحاف او تفرقة بين قريب وبعيد ، شريف ووضيع ، غني وفقير ، الثانية معاقبة المسيء ومؤاخذة المتهاون المقصر ، فهاتان الدعامتان اذا وجدتا كان المجتمع سعيداً فاضلا .

ان شكوى الناقمين في التاريخ وفي عصرنا الحاضر لا تخرج عن هاتين الناحيتين ، فمن الناس يشتكي لأنه فقد حقاً له بتهاون الولاة ،

وشكوى ضعيف اعتدى عليه قوي فاتك ، هـــذان المنفذان الوحيدان اللذان تمر منهما الثورات والانقلابات والجرائم والجنايات لذلك كان العدل هدف الأسلام .

قال الله تعالى ان الله يــأمر العدل والأحسان ويقول : لا يجرمنكم شنآن قوم عـــلى الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى

قال الصادق : اتقوا الله واعدلوا فانكم تعيبون عـــلى قوم لا يعدلون .

قال الصادق : ان الله جعل – لمن جعل له سلطانـاً – اجلا ومدة من ليال وايام وسنين وشهور فان عدلوا في الناس امر الله صاحب الفلك ان يبطىء بادارته فطالت ايامهم ولياليهم وسنينهم وشهورهم ، وان جاروا في النـــاس فلم يعدلوا امر الله صاحب الفلك فأسرع في ادارته فقصرت لياليهم وايامهم وسنينهم وشهورهم وقد وفى الله بعدد الليالي والشهور . هذا تخييل لما يصادف الطغاة من ثورات الشعوب وانتفاضـــات المظلومين وتضحية المعذبين في الأرض في سبيل رفع الظلم وانصاف الرعية من رعاة السوء .

قال الصادق : اشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم عمل بغيره .

روى ابو بصر عن الصادق انه قال : في قوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون فقال يا ابا بصير : هم قوم وصفوا عدلا بالسنتهم ثم خالفوه إلى غيره .

قال الصادق : العدل احلى من الشهد والين من الزبد واطيب

ريحاً من المسك . يشير بذلك الى الحياة المطمئنة المستقرة في ظلال العدل تكون ، الأمور ميسرة والأمن شاملا والريح تهب رخاء والأرض تفيض عسلا ولبنا ، والناس يعيشون في أمن وسلام لا يرهقهم خوف ، ولا يشملهم رعب ولا يزعجهم مجرمون .

قال الباقر : ابلغ شيعتنا لن ينال ما عند الله الا بعمل وابلغ شيعتنا ان اعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره .

ان من الدلائل الواضحة على تمكن العدل من النفوس بحيث يصبح خلقاً للنفس تزدان بجماله، وتصوغ اخلاقها على مثاله، وتقتدى بارشاده هو ان يكون الانسان منصفا لخصمه من نفسه قال الله تعالى : يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والأقربين .

قال الصادق : قال رسول الله : من واسى الفقير من ماله وانصف الناس من نفسه فذلك هو المؤمن حقاً . قال الصادق : من يضمن لى اربعة بأربعة أبيات في الجنة انفق ولا تخف فقراً . وافش السلام في العالم . واترك المراء وان كنت محقاً ، وانصف الناس من نفسك .

قال الصادق : قال رسول الله (ص) سيد الاعمال انصاف الناس من نفسك ومؤاساة الاخ في الله وذكر الله على كل حال.

قال الصادق : ثلاث هم اقرب الخلق الى الله يوم القيامة حتى

يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه ان يحيف على من تحت يده. ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الاخر بشعيرة. ورجل قال بالحق فيما له وعليه.

ان الذي يلي امور الناس يلزمه ان يكون ساهر الطرف لا يغفل امر من اصبح رعية له فهو، مسؤول عن احواله التي يكابدها وشقائه الذي يعانيه فالولاية رعاية وواجبات للرعية يقوم بها الراعي او الملك او الزعيم او والد الاسرة قال علي في عهده للاشتر: تفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه وتفقد اهل اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسالة نفسه واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلم غير متتعتع (١) فاني سمعت رسول الله يقول في غير موطن: لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متتعتع.

ومن احسن ما وصفت به العدالة ما قال علي لبعض عماله: واخلط الشدة بضغث من اللين، وارفق ما كان الرفق ارفق، واعتزم بالشدة حين لا يغنى عنك الا الشدة، واخفض للرعية

---

(١) مضطرب خوفا.

جناحك ، وابسط لهم وجهك والن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك .

واذا اردت المزيد فراجع كتب على الى عماله ، وكثيراً من خطبه التي حواها نهج البلاغة ، فلو اردنا ان ننقل منه لكان يقتضينا ذلك كتابا مطولا ، حتم على الذين يلون امر طائفة من الناس ان يحرصوا ان تصان الحقوق وينتشر الأمن ، وتتهيأ اسباب الرخاء والرفاهية بين طبقات الاتباع ، فان ايثار قوم باليسر ومكابدة فريق آخر للبؤس يعرض الحياة للاضطراب ، ويبعث الثورة ويعين على مفاسد لا تتقى الا بالرفاهية . فان الواقع يدلنا على ان اليسر يبعث على الامانة ، والفقر يبعث على الخيانة واحيانا على الرق وانواع الجرائم ، واليسر يبعث على توقي المشاكل ، واجتناب القلاقل ، قال علي في خطبه له : ثم جعل الله من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الا ببعض واعظم ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه ، وادى الوالي اليها حقها عز الحق بينهم ، وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل ، وجرت على اذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان ، وطمع في بقاء الدولة ويئست

مطامع الأعداء واذا غلبت الرعية واليها ، او اجحف الوالي برعيته اختلفت هناك الكلمة ، وظهرت معالم الجور وكثر الادغال في الدين ، وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الاحكام ، وكثرت علل النفوس ، فلا يستوحش لعظيم حق عطل ، ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الابرار ، وتعز الاشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه ، فليس احد وان اشتد على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله من الطاعة له ، ولكن من واجب حقوق الله سبحانه على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم ، وليس امرء وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق ان يعان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرء وان حقرته النفوس واقتحمته العيون بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه .

صرخة الحق

انفرد الدين الأسلامي من بين سائر الأديان بتكليف كفائي واجب على الناس جميعاً ، ولكن اذا قام به بعض منهم سقط عن البقية ، ولكن اذا تركه الناس جميعاً عوقبوا جميعاً وحكم الله عليهم بالمعصية .

ذلك الواجب هو « الامر بالمعروف والنهى عن المنكر » الأسلام هو الدين الذي يكون بحق دين الحرية والمساواة حيث انه اعطى لجميع افراده حرية القول ، وحرية القول لا تنفك عن حرية الفكر واعلن ان الاكراه لا يمكن ان يمس حظيرة المعتقد لقوله (لا اكراه في الدين) فليس هناك جبر ولا اكراه انها حرية واقتناع .

اعتاد علماء الاجتماع ان يقولوا : ان كل دولة تكون مؤلفة من هيئة حاكمة تدير الامور ، وتقود سفينة السياسة الى الغاية التي تتوخاها . واذا لم يكن في البلاد حزب معارض يكون العدل والانصاف في خطر . واذا كان هناك حزب معارض يكون واقفاً للدولة بالمرصاد، يراقب حركاتها وينقد اعمالها، ويحصى هفواتها ،

فاذا احست الحكومة بذلك لا تستطيع ان تمضي على غلوائها ، انما تسير وهي خائفة مترقبة ، خشيت مهاجمة الحزب المعارض ، وكشفه عن اغلاطها وتعقبه لفضائحها ، ولكن الأسلام لم يغفل هذه الناحية فلقد جعل من كل مسلم حزبا معارضا ، وفتح مجال الانتقاد ،ويسر ادوات الملاحقة والتعقيب على كل عمل منافر لا ينسجم مع مبادىء الاسلام وحقوق الشعب ، وذلك بفرضه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال الله تعالى : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون .

وقص الله ان الامة الاسلامية خير امة اخرجت للناس حيث ان المسلمين جميعاً يتناهون عن المنكر ويأمرون بالمعروف قال الله تعالى : كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .

قال الصادق : ويل لقوم لايدينون الله بالامر المعروف والنهي عن المنكر .

قال الباقر : ان الامر المعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصالحين ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الاعداء، ويستقيم الامر .

من هذا نعرف ان كل مسلم عارف بالمعروف والمنكر

يخول حق اعلان ذلك، ومواجهة المقترف للمنكر والمستهين بالمعروف بالنقد واللوم ، حتى يرتدع المقصر ويبادر المتهـــاون ، وذلك لا يختص بفئة دون فئة بل عـــلى من يأمر بالمعروف ان يواجه الولاة والامراء ، فلا يدع مظلمة ترتكب ، ولا حكما يعطل ولا نظاما يستهان به .

قال الرضا: لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم .

واول ما يجب على الانسان ان يبدأ باهل بيته فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر .

روى ابو بصير عن الصادق في قوله عز وجل : قوا انفسكم واهليكم ناراً قلت : كيف اقيهم ؟ قال تأمرهم بما امر الله وتنهاهم عما نهاهم الله فان اطاعوك كنت قد وقيتهم وان عصوك كنت قد قضيت ما عليك .

ولقد روى لنا التاريخ مواقف للمؤمنين مع الخلفاء. وكان الخلفاء الراشدون يستشيرون الصحابة فيما يقـــدمون عليه من اعمال ، يستعينون بأراء اهل الرأي ويأمنون انتقاد المنتقد ، وكانت صدورهم تتسع لانتقاد المنتقد ، ويرون في ذلك فضيلة وكمالا .

قال الصادق : ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما نصره الله ومن خذلهما خذله الله .

انواع من المعروف

اولها واحقها بالعناية عدل الملوك والقيام بواجباتهم تجاه الرعية لان مركز الحاكم المطاع محفوف بالمخاطر ، وعليه واجبات ثقيلة لمن يلي أمرها ، وهذه الواجبات ليست بمستطاعة لكل انسان ، فاذا عمل بالعدل ويسر وسائل السعادة ، وعرف مواقع الحقوق قام بواجبه . ثانيها نشر العلم وتعليم الصنائع والانتفاع بالمخترعات الحديثة واتقان هندستها وتعلمها .

ثالثها . بناء المدارس والمستشفيات وعلاج المرضى والقيام باود العجزة والزمني .

رابعها . غرس العقيدة الصحيحة ، ونشر الدين الذي ينسجم مع الفطرة الانسانية ، وهو التوحيد ونبوة محمد (ص) وما يتبعها .

خامسها . الاعمال العبادية من صلوة وصيام وحج الى غير ذلك ونستطيع ان نعد منها الوفاء بالعهد ، واداء الشهادة والتعاون على البر في التبرعات للمؤسسات الانسانية ، وللجيوش العربية ، وغيرها واداء الامانة وصلة الارحام والاصلاح بين الناس . وبالجملة المعروف هو كل امر يستحسنه العقل ويرتضيه الشرع ويكون ذا نفع للمجتمع او للفرد .

انواع من المنكرات

اولها واحقها بالعناية الظلم ، سيما ظلم الملوك والامراء . ثانيها الاستخفاف بالدين كما يتعارف الناس من سب الدين عند فورة الغضب عن اي سبب نشأت حتى اصبح سب الدين لهجة اللسان المألوفة .

ثالثها : الخلاعة الموجودة في البلاد من التبرج المغري بكشف الصدور وابراز الظهور بخلاعة هاتكة للشرف هادمة للغيرة فاقدة للحمية .

رابعها : تعاطي المسكرات واللعب بالقمار وحضور الحفلات الراقصة الى غير ذلك من شهادة الزور ونكث العهود والكذب والنميمة، وما يتصل بذلك. وبالجملة المنكرات هي المحرمات بالشرع يستقبحها العقل ويعنف عليها لان العقل والشرع متطابقان ، ولا اظن مسلماً لا يعرف المعروف والمنكر، ولكن سال السيل وطغى التيار والف الناس المنكرات فلا يثور ثائرهم ، ولا يهيج هائجهم عم يتردد بين اسماعهم وابصارهم ،حتى اصبح الناظر في مجتمعاتنا يطمئن ان الروح الاسلامية فقدت سلطانها من الصدور ، وذبلت نضارتها

من النفوس ، وضعف تأثيرها عن توجيه المسلمين ، والاخذ بايديهم في ظلم الحوادث ، وفقدت قوتها ان تصمد امام التيارات الالحادية التي تقذفها اليناا وربا ، فتغرس الشك والطيش والاستخفاف والتهالك على المتعة واللذة . وقى الله المسلمين وصانهم مما هو محدق بهم .

قال الله تعالى : المؤمنون والمؤمنـات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

مقتضى هذه الآية ان الاسلام ولاية الله وهي العنوان لأن يحب المسلمون بعضهم بعضاً فكل مسلم ولى اخيه المسلم. فحتم على العاقل الرشيد الفاهم الخبير ان يرشد الجاهل ، وينبه المخـدوع ، ويرشد الضال ، ويهدي الحائر ، لأن الماهر الخبير ان اهمل واجبه ، ولم يقم بما الزمه الله من التوجيه والوعظ والارشاد ، شاع الفساد وانتشرت الرذائل ، ور كدت ريح الفضيلة ، وتساقط الناس صرعى الجهـل والشر ، فتكثر الجرائم وتشيع الموبقات، وتتبع الشهوات، وينغمس الناس في الرذيلة والفحشاء ، وتنزع بهم الاهواء الى الترف، والترف ايذان بأن تفقد الامة معنوياتها، وتنحل اخلاقها ويذوب كيانها. وفي ذلك وخامة العاقبة وسوء المصير . بأن يتحكم فينا الأجنبي ويسخر منا الضعيف الذليل، حيث فقدنا قوة العزيمة وصلابة العقيدة وغاضت ينابيع الشهامة ولم نشعر بمسؤولية تحبب الينا التضحية في سبيـل اوطاننا وقوميتنا وديننا .

في الاديان هيئات تبشيرية ، لها موظفوها يقومون باعمالهم ، ولكن الاسلام بفرضه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر

المسلمين جميعاً دعاة ومبشرين، وبهذه الناحية انتشر الاسلام وعرفت الامم محاسنه ، ومحاسن مبادئه الصالحة لكل عصر وجيل ، وكل بيئة ومكان .

ولا يستطيع ان ينتقد منتقد ، ان مبادىء الاسلام واسعة ولكن الحياة متجددة فاليوم غير الامس وتتجدد اشياء لم يعرفها السابقون ، فلا بد ان ما يصلح للسابقين غير الذي ينسجم مع المتأخرين ، ومهما كنا من المحافظين فالحياة متجددة رغم كل عناد وصلابة . نجيب ان الاجتهاد ميسور ، وحرض النبي على الاجتهاد، وهب ان ظروفاً صعبة مرت بالمسلمين فاغلقوا باب الاجتهاد ولكن الشيعة بقيت تعلن ان الاجتهاد لا بد منه واخيراً في مصر رجعوا الى القول بان الاجتهاد ضرورة اجتماعية لا بد منها .

تاريخ مضيء

اذا نظرنا الى واقع الانسان من اقدم عصوره الى عصرنا الحديث. نجد الحضارة تسير في اشواط ، وتقطع مراحل كلها تقدم وارتقاء الى عصرنا هذا ، اصبحت حضارة الانسان والات الترف والرفاهية مثار الدهشة، حيث غرق الانسان في النعيم في سائر بقاع الارض بوسعه ان يكيف الحياة كما يريد بسائر مشتهياتها ولذائذها ومغرياتها.

هب تقدم الانسان سياسياً وكاد يقضي على الاستبداد ، وعرفت الشعوب انها مصدر السلطات ، ولكن الانسان لا يزال هو الانسان في شهواته وغرائزه ومطامعه. لم تتهذب اخلاقيته، ولم تصف نفسه ولم ترتفع روحانيته . بل بقي على ماديته الحادة الضارية .

الحياة بالامس والحياة اليوم كفاح وجهاد، والضعاف يتساقطون في المعركة ضحايا الطغاة والزعماء والمرابين الاثرياء ، ولا يشعرون انهم ضحايا الحرمان والبؤس والجهل ، لجهلهم بالحياة ولشقائهم الذي ملأ نفوسهم حرمانا وقناعة وصبراً وتوكلا واستسلاماً وخنوعاً ، فهم لا يعرفون طموحاً ولا يرقبون تغيراً من ضعف الى قوة ، ومن همود الى نشاط ومن خنوع الى حرية .

ان اوجاع والام ومآسي هذه الفئة المحتسبة المعذبة في الأرض، وتحسب انها سعيدة. هي التي تقلق افكار الهداة والمصلحين. فهم غرقى ويحسبون انهم راكبون في سفينة السلام، وهم مرضى ويعتقدون انهم اقوياء، انهم تعبون لاغبون ويشعرون كما يشعر المريض المنهوك الملقى في فراشه، يحس بالراحة ولكن لا يستطيع الجلوس.

جاء محمد (ص) بالنور والهداية والحكمة، فسار الناس على اضوائه. العدل شائع، الحقوق مصونة، المساواة هدف الخلفاء الراشدين، في عهد يزيد انعكست الآية، وتبدلت الاوضاع واصبح الحكام يسيرون في طريق غير الطريق التي شقها الرسول الكريم (ص) وخلفاءه. فقام الحسين يحاول ارجاع الطغاة الى الجادة المعروفة التي سار عليها الاسلام، وهي الصراط المستقيم، وقام معه طائفة من الاحرار عشاق المبادىء وانصار المثالية، ولهم هدف، واحد ان يعمل الناس بالحق ويترك الناس الباطل، لقد خطبوا فاجادوا الخطابة وقالوا فاحسنوا القول ونبهوا، الناس الى الخطر الكامن والبلاء المحدق فكانت صولة الطغيان ذات دوي يصم الآذان، وتحبس المسامع وتعمي القلوب. فتساقط انصار الحق ضحايا، في سبيل الحرية والعدل والمساواة؛ حقيقة قتلوا، ولكن مبادئهم التي نصروها فاحسنوا نصرتها، وغذوها بدمائهم ثبتت قوية ناضرة تهزأ بالعواصف، وتسخر بالرياح، وسرعان ما كانت شجرة طيبة تحمل الزهر العطر والثمر الطيب، فيتناول الناس من زهرها ارجا ومن ثمرها غذاء.

فقام سليمان بن صرد واصحابه يسمعون صدى صرخة الحق فهبوا

اسوداً ضارية ، يهزأون بالموت ويشتـــاقون الى القتل في سبيل المثالية التي ناصرها الحسين. ويسقون تلك الشجرة بدمائهم خشية ان يعتريها الذبول .

وقام زيد بن علي بن الحسين على الطغيان ، فكان استشهاده قذى في اعين الطغاة ، وشوكا في مضاجعهم ، يقضها ويكدرها . وقام ابنه يحيى بعده مقتفياً سيرة ابيه ، سائراً على نهجه . عزة نفس ومتانة خلق واباء ضيم ، وايثاراً للعدل ونصرة للحق وشعارهم : ما احب الحياة قوم الا ذلوا .

الى ان جاء دور النفس الزكية في الحجاز . واخوه ابراهيم في البصرة . وكان ابو حنيفة يعطف على دعوة النفس الزكية ويؤيد دعوته ، وقام مع ابراهيم واخيه ثلة طيبة من العلماء ورواة الحديث يحاربون الجور والاثرة ، ويناصرون العدل والايثار ، الى ان ادوا واجبهم خير تأدية . فبقى هتاف الحق متجاوب الاصداء في ارجاء البلاد ، وجدت شجرة الحرية من يتعاهدها بالري والسقيا ، وريها وسقياها دماء الذادة الاحرار ، والشهداء الابرار ، وكان شعـــار دعوة النفس الزكية : (اللهم قد احلوا حرامك وحرموا حلالك وآمنوا من اخفت واخافوا من آمنت) .

وفي عهد الهادي العباسي قام الحسين بن علي بن الحسن في الدعوة ، واجاب هتاف الحق ، وناصر العدل والحرية . وهو قتيل فخ .

ادريس بن عبدالله بن الحسن نجا من موقعة فخ وذهب الى المغرب الاقصى فاقام دولة الادارسة هناك .

انتهى الامر اخيراً الى يحيي بن عمر بن يحيي بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين، فقد نهض بالدعوة واحبه اهل بغداد فمضى شهيداً، ولقد رثاه ابن الرومي بقصيدته الرائعة يقول فيها .

سلام وريحان وروح ورحمة   عليك وممدود من الظل سجسج
ولا برح القاع الذي انت جاره   يرف عليه الاقحوان المفلج

الى ان يقول فيها :

وحب به جسما الى الارض اذ هوى
وحب به روحا الى الله تعرج

ويرثيه ابو هاشم الجعفري .

يا بني طاهر كلوه وبيا   ان لحم النبي غير مري
ان وترا يكون طالبه الله   لو تر بالفوت غير حري

وهكذا درج الصالحون من اهل البيت على طريقة واضحة، ومنهج مستقيم، الحق والعدل والمساواة. فكانوا يقومون دعاة صدق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتساقطون قتلى واسرى ومسجونين. ففي الجولة الاولى من الصراع بين الشهوات والمطامع والحق والعدل يكون الظفر لاول وهلة للمطامع والشهوات، فيستريح الطغاة مدة قصيرة، ثم يأتي دور القيم الرفيعة، والانسانية الصافية

البريئة ، فيظفر آل محمد بالحب والعطف وفضائل النفس ومزايا الروح . فيكون لهم البطولة الصادقة ، والتاريخ الابيض النقي الذي يبعث الانوار ، ومسك الختام الشريف حسين. فلقد جاهد في سبيل تحرير العرب ، وارجاع مجدهم الذاهب ، وقضى في سبيل فلسطين وضحى بملكه في الحجاز في سبيل فلسطين (بكم فتح الله وبكم يختم) .

طبع على مطابع

دار الطباعة العربية

بيروت – السور – تجاه صيدلية حماده

AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT